الرسالة إلى القديسين في

فيلبي

كتيب أخاذ مجلّد ضمن غلاف النعمة

ج.هـ. جويت *J.H. Jowett*

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

إنّ "الكنيسة الأولى" التي تؤسّسها طائفةٌ ما في إحدى القرى أو المدن، تكون لها مكانة خاصّة في نظر المنتمين إلى تلك الطائفة. من هنا، حاول أن تتخيّل مدى أهمية أوّل كنيسة معروفة ـ قبل نشوء أيّة طوائف ـ ليس في إحدى المدن فحسب، بل في أوربا كلها. تلك كانت جماعة المؤمنين المسيحيين في فيلبي من مقاطعة مكدونية القديمة (شمالي اليونان). كم ينبغي لمسيحي الغرب أن يبتهجوا (وحتى لغير المسيحيين أيضًا، لو عرفوا أنّ المسيحية هي مصدر العديد من البركات التي ينعمون بها) لأنّ بولس تجاوب مع "الاستغاثة المكدونيّة"، فتوجّه غربًا، لا شرقًا، في معرض تبشيره الإمبراطوريّة الرومانيّة. لربّما كانت قارّة آسيا اليوم تبعث برسلين مسيحيّين إلى أوروبا وإلى أمريكا الشماليّة. وليس العكس، لو لم يكن الإنجيل قد مدّ جذوره في أوروبا.

إنّ جماعة المؤمنين المسيحيّين في فيلبي اتّصفت بالكرم، إذ أرسلت مرارًا وتكرارًا دعمًا ماديًّا لبولس. وهنا، حسب المنطق البشري، يكمن السبب وراء تحرير "رسالة الشكر" هذه.

لكنّ رسالة فيلبي تعني أكثر من هذا بكثير؛ إنّها حقًّا رسالة الفرح، إذ وردت هذه الكلمة «الفرح» أو إحدى مشتقاتها، أكثر من اثنتي عشرة مرة ضمن الفصول الأربعة في هذه الرسالة. فبولس عرف كيف يفرح في أزمنة الخير، كما في أوقات الضيق

(٤: ١١). كذلك، لا تحتوي رسالة "الابتهاج" هذه إلا على الشيء القليل من الجدل العقائدي أو من المناشدات السلبية.

إن السبب الرئيسي الذي يُتيح للمسيحيّين أن يفرحوا هو أن ابن الله كان على استعداد لكي يأتي إلى أرضنا كإنسان، بل قُل كعبد. وهو لم يتوقّف عند حدّ شفاء المرضى وتعليم الجموع، بل سار الدرب كلّه حتّى الموت، موت الصليب. وهذه الحقيقة العظيمة يُعبِّر عنها فيلبي ٢: ٥-١١، هذا المقطع الرائع الذي يعتقد الكثيرون أنّه كان أشبه بنشيد مسيحي قديم اقتبسه بولس أو ربما نظّمه هو بنفسه. وهذا النص أيضًا يشكّل أحد المراجع الكتابيّة للتعليم عن الوحدة من طريق التواضع. فالعهد الجديد لا يفصل البتة العقيدة عن الواجب المسلكي، كما يحصل غالبًا بين مُرتادي الكنائس العصريين اليوم، مع ما يلي ذلك من نتائج وخيمة ومحزنة.

هذه إذًا هي الرسالة إلى أهل فيلبي، أحد أكثر الأسفار المفرحة والجذّابة في كلمة الله كلّها.

٢- الكاتب

بما أنّ معظم الدارسين يرون أنْ لا جدال على اعتبار أنّ الرسول بولس هو كاتب هذه الرسالة، فسنذكر الأدلّة على سبيل تكملة دراستنا ليس إلاّ. يزعم بعض الدّارسين أنّهم يرون آثارًا لرسالتين مجموعتين ضمن هذا السِّفر، أو على الأقل إنّ النصّ حول عبد الربّ (٢: ٥-١١) هو مدسوس. غير أنّ المخطوطات لا تعطي أي دليل لدعم هاتين النظريتين.

الدليل الخارجي قوي. فمن الذين اقتبسوا هذه الرسالة في وقت مبكر، مع تحديدهم غالبًا أنّها بقلم بولس: أغناطيوس، وإكليمندُس الذي من روما، وبوليكاربوس، وإيرينايس، وإكليمندس الإسكندري، وترتوليانوس. كذلك يتفق كلّ من قانون ماركيون وقانون موراتوري على نسبة هذا السفر إلى بولس.

وبالإضافة إلى الإشارة الواضحة إلى بولس في ١: ١، فإنّ طابع بولس يبرز في مجمل أسلوب الرسالة وعباراتها. أمّا الحجج التي تنفي أن يكون بولس هو المؤلّف، فتبدو تافهة، كالقول مثلاً إنّ الإشارة إلى «الأساقفة والشمامسة» في ١: ١ تقتضي تاريخًا لاحقًا يلي الزمان الذي عاش فيه بولس. فهذه الفرضية يمكن أن تصحّ لو نقلنا الأفكار اللاحقة التي تختص بالأساقفة إلى القرن الأول. لكن بولس يستخدم العبارة «أساقفة» (أبسكوبوي *episkopoi* في اليونانية تعني النظار والرعاة في الكنيسة) في كل من الرسائل الراعوية، وفي سفر الأعمال ٢٠: ٢٨ كمرادف «للشيوخ». كذلك، ينبغي أن نذكر أنه ضمن الجماعة الواحدة التي وجه إليها بولس رسالته وُجدت مجموعة أساقفة.

ويوجز هـ.أ.أ. كندي *H.A.A. Kennedy* الدليل الداخلي بشكل رائع: ربما ليس بين رسائل بولس، على الأرجح، ما يحمل أكثر منها علامة الأصالة وسمة الثّقة. فهي تتّصف بعدم التصنّع وبرقّة الشعور وبانسكاب صريح للقلب؛ وهذا كلّه بشكل يعجز الإنسان عن أن يتظاهر به أو يقلّده.

٣- التاريخ

هذه الرسالة، على غرار الرسائل إلى أفسس، وإلى كولوسي، وإلى فليمون، كُتبت من السجن. من هنا انتماؤها

إلى مجموعة "رسائل السجن". وفي حين أنَّ الرسائل الثلاث الأخرى كتبت وأرسلت في وقت واحد تقريبًا (نحو ٦٠م)، فمن الواضح أنَّ تحرير رسالة فيلبي قد تمّ بعد هذا التاريخ بقليل. لقد، حدَّد ماركيون *Marcion* أنَّ بولس كتب رسالته إلى فيلبي من روما، الأمر الذي يتلاءم جيِّدًا مع ١: ١٣؛ ٤: ٢٢، هاتين الآيتين اللتين توحيان بصحة ذلك. فبولس بقي على مدى سنتين سجينًا في روما. ثمّ تأتي بعض التلميحات في الرسالة لتوحي أنَّ بولس كتبها نحو نهاية هذه الفترة، مثلاً، ١: ١٢-١٨ قد تشير ضمنًا إلى مدَّة من الوقت كرز خلالها بولس في "المدينة الخالدة" منذ قدومه إليها. كذلك يظهر من ١: ١٢، ١٣، ١٩، ٢٣-٢٦ أن البتّ في قضيَّة بولس كان وشيكًا (وعلى الأرجح بشكل إيجابي أي بإطلاق سراحه).

فهذه الحقائق، مع تخصيص وقتٍ للرسائل والزيارات والتقدمات المالية المشار إليها في هذه الرسالة، تجعلنا نعتبر أنَّ تاريخ الكتابة يعود إلى نحو أواخر العام ٦١م.

٤- الخلفية والمواضيع الرئيسية

ما كان أعظمه يومًا في تاريخ الإرساليات المسيحية عندما وصل الرسول بولس إلى ترواس خلال رحلته التبشيرية الثانية! كانت ترواس تقع على الساحل الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، عبر بحر إيجه من اليونان. ذات ليلة، ظهر رجل مكدوني للرسول في رؤيا، وخاطبه بالقول: «أعبر إلى مكدونيا وأعنّا» (أع١٦: ٩). وللوقت، استعد بولس للإبحار إلى مكدونية، آخذًا معه تيموثاوس ولوقا وسيلا. وفي نيابوليس وطئت أقدامهم، أوّل مرّة، أرضًا أوروبيّة. ثمّ من هناك توجّهوا نحو الداخل إلى فيلبي. وهذه المدينة كانت في ذلك الوقت مقاطعة رومانيّة، يحكمها مسؤولون رومانيون، وتمنح سكّانها حقوق الجنسيّة الرومانيّة وامتيازاتها.

وفي السبت، قصد المبشرون بالإنجيل ناحية عند النهر حيثُ كانت مجموعة من النساء قد اعتادت أن تجتمع للصلاة (أع١٦: ١٣). كانت واحدة منهن تُدعى ليدية، وهي بائعة أرجوان من مدينة ثياتيرا. وبقبولها رسالة الإنجيل، أصبحت أول شخص معروف في أوروبا يهتدي إلى المسيحيّة.

لكنَّ مكوث بولس في فيلبي لم يكن يخلو من اضطراب وتعكير، إذ إن امرأة شابة بها روح عرافة (تتنبأ بأحداث مستقبليّة) التقت خدَّام الرب وظلّت لبعض الوقت تتبعهم وهي تصرخ قائلة: «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص» (أع١٦: ١٧). لكن الرسول ما كان ليقبل شهادة شخص كان يسكنه الروح الشرير، لذا أمر الروح بأن يخرج منها. وعندما رأى أولياؤها ما حصل لها، غضبوا على بولس، لأنَّهم كانوا ينتفعون من تنبؤاتها. فجرّوه مع سيلا إلى السوق ليواجها ممثّلي روما. فأمر هؤلاء الحكّام بأن يُضربا بالعصي ويزجّا في السجن.

ما حدث في ذلك السجن الفيلبي بات الآن معروفًا جيِّدًا. ففي منتصف الليل، كان بولس وسيلا يصلّيان ويسبحان الله. وفجأة حصلت زلزلة عنيفة فتحت أبواب السجن وحلّت قيود السجناء. وإذ ظنّ ضابط السجن أنَّ السجناء قد هربوا، همَّ بقتل نفسه، فسارع بولس إلى طمأنته بأن أحدًا من السجناء لم يهرب. وعلى أثر ذلك صرخ ضابط السجن قائلاً: «يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» فأتاه الجواب الخالد: «آمن بالرب يسوع

المسيح فتخلص» (أع١٦: ٣١). نعم، لقد تمكّنت نعمة الله من ربح غنيمة أخرى في فيلبي. وفي صباح اليوم التالي، أمرت السلطات المحلية بولس وصحبه أن يغادروا المدينة بأقصى سرعة ممكنة. لكنّ بولس رفض ذلك. فذكّرهم بأنّهم كانوا قد ضربوه، وهو المواطن الروماني، وسجنوه من دون محاكمة عادلة. ولما واصل الحكّام مناشدتهم ترك المدينة، مضى بولس وصحبه أوّلاً لزيارة بيت ليدية قبل مغادرتهم المكان (أع١٦: ٤٠).

ثم بعد زهاء عشر سنوات، كتب بولس رسالته إلى الفيلبيين. وكان أيضًا مسجونًا. وإذ علم أهل فيلبي بأن بولس في السجن، أرسلوا إليه تقدمة ماليّة. وهكذا كُلِّفَ أبفرودتس حمل هذه التقدمة إلى بولس. وبعد تسليمها، قرّر أن يمكث هناك لبعض الوقت لمساعدة الرسول في ضيقاته. وأبفرودتس نفسه مرض عندما كان ينجز مهامه هذه، وقد قارب الموت. لكنّ الله رحمه، وردّ له عافيته. وهو الآن مستعدّ للرجوع إلى فيلبي، إلى الجماعة المحليّة في بلده. لذا بعث الرسول معه بهذه الرسالة الناضحة بالشكر والاعتراف بالفضل.

تُعدّ رسالة فيلبي إحدى رسائل بولس الأكثر شخصيّة والأكثر عاطفيّة. وهي تُظهر بوضوح كيف كان في قرارة نفسه يكنّ تقديرًا خاصًّا لهذه الجماعة. إذ نقرأها، نستطيع أن نتحسّس روابط الحنان بين الرسول العظيم وهذه الكنيسة التي سبق أن أسّسها.

التقسيم

١ـ تحيّة بولس، وشكره، وصلاته (١: ١ـ١١)

٢ـ حبس بولس، وتطلعاته، وحثّه الآخرين على المثابرة (١: ١٢ـ٣٠)

٣ـ الحثّ على الوحدة انطلاقًا من مثال المسيح في الاتضاع والتضحيّة (٢: ١ـ ١٦)

٤ـ قدوة بولس، وتيموثاوس، وأبفرودتس في تمثّلهم بالمسيح (٢: ١٧ـ٣٠)

٥ـ تحذير من المعلّمين الكذبة (٣: ١ـ٣)

٦ـ تخلّي بولس عن تراثه وعن إنجازاته الشخصيّة لأجل المسيح (٣: ٤ـ١٤)

٧ـ مناشدة لسيرة سماوية متمثّلة بالرسول (٣: ١٥ـ٢١)

٨ـ دعوة إلى حياة الوفاق، والمساعدة المتبادلة، والفرح، والاحتمال، والصلاة، وضبط الفكر (٤: ١ـ٩)

٩ـ تشكّرات بولس على التقدمات الماليّة التي وصلته من القديسين (٤: ١٠ـ٢٠)

١٠ـ التحيّات الختاميّة (٤: ٢١ـ٢٣)

التفسير

١ـ تحيّة بولس، وشكره وصلاته (١:١-١١)

١: ١ بولس وتيموثاوس اسمان مرتبطان معًا في مستهل هذه الرسالة، لكنّ هذا لا يعني أنّ تيموثاوس ساعد في كتابتها. لقد كان مع بولس عندما زار فيلبي أوّل مرّة، لذا كان معروفًا لدى القديسين هناك. والآن **تيموثاوس** هو مع بولس فيما يفتتح الرسول هذه الرسالة.

كان بولس قد أصبح في هذا الوقت شيخًا (فل٩)، فيما كان تيموثاوس ما يزال، إلى حد ما، شابًا. وبذلك يكون الشباب والشيخوخة قد اقترنا تحت نير واحد في خدمة سيد الأسياد. وقد عبّر جويت *Jowett* عن هذا بلباقة: "هذا هو اتّحاد الربيع بالخريف؛ والحماسة بالخبرة؛ والاندفاع بالحكمة؛ والأمل الرخص العود بالوثوق الهادئ والغني".

وُصف كلاهما **بأنّهما عبدا يسوع المسيح**. فكلاهما أحبّا سيّدهما. ورُبط الجلجثة هي التي جمعت بينهما لخدمة المخلّص إلى الأبد.

الرسالة موجّهة «**إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي**»، إنّ الكلمة «**جميع**» أو "كل" تتكرّر كثيرًا في هذه الرسالة. فإن عطف بولس وعنايته شملتا شعب الرب **جميعهم**.

والعبارة **القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبّي** تصف مكانين يتواجد فيهما المؤمنون. فمن جهة مقامهم الروحي، أفرزهم الله وخصّصهم لنفسه **في المسيح يسوع**؛ أمّا بالنسبة إلى موقعهم الجغرافي، فكانوا يسكنون **في فيلبي**. إذًا مكانان في آنٍ!

من ثَمّ يأتي الرسول على ذكر **الأساقفة والشمامسة**. **فالأساقفة** كانوا الشيوخ أو النُّظّار ضمن الجماعة، هؤلاء الذين كانوا يُعنون برعاية قطيع الله ويقودون بفضل قدرتهم الصالحة؛ أمّا الشمامسة، بالمقابل، فكانوا خدّام الكنيسة الذين كانوا، على الأرجح، يهتمّون بشكل رئيسي بشؤونها الماديّة، كالنواحي الماليّة وغيرها.

كانت الكنيسة تضم هذه المجموعات الثلاث فقط: **القدّيسين، والأساقفة، والشمامسة**، ولو كان هناك رجل دين يتولّى المسئوليّة، لذكره بولس أيضًا. لكنّه، عوضًا عن ذلك، يتكلّم فقط عن **رعاة** (بصيغة الجمع) **وشمامسة** (أيضًا بصيغة الجمع).

أمامنا هنا صورة رائعة عن البساطة التي كانت تسود حياة الكنيسة في أيامها الأولى. **فالقدّيسون** ذُكروا أولاً، ثمّ **مرشدوهم الروحيون**، وأخيرًا **خدّامهم الزمنيون**، وهذا كلّ شيء!

١: ٢ بولس، في تحيته المميّزة، يتمنّى **للقدّيسين النعمة... والسلام**. فالأمر الأوّل لا يتعلّق بالنعمة التي تأتي الخاطي عند اهتدائه، على قدر ما يُعنى **بالنعمة** التي يحتاج أن ينالها باستمرار عند عرش النعمة لمساعدته على ضيقاته (عب٤: ١٦). كذلك أيضًا، ليس **السلام** الذي يطلبه لهم بولس هو السلام مع الله، والذي سبق لهم أن حصلوا عليه قبلاً، بل السلام الذي يأتي من طريق الصلاة والشكر (٤: ٦، ٧).

كلتا البركتين صادرتان **من الله أبينا والرب يسوع المسيح**. فالرسول يكرم الابن تمامًا كما يكرم الآب (يو٥: ٢٣). إذًا لا شكّ عند بولس على الإطلاق في أنّ يسوع هو الله.

١: ٣ والآن ينطلق بولس في نشيد حمد. لكن هذا الأمر ليس جديدًا على الرسول. فجدران سجن فيلبي كانت قد ردّدت صدى ترانيم بولس وسيلا خلال أول زيارة لهما إلى هناك. ومن المرجّح أنّه عندما خطّ هذه الكلمات، كان سجينًا في روما، لكنّه ما يزال ينشد «الأغاني في الليل». يا لبولس من رجلٍ لا يُقهر! كان **كل ذِكرٍ** للفيلبيين يحرّك في قلبه مشاعر الشكر. فهؤلاء لم يكونوا أولاده بالإيمان فحسب، بل برهنوا من عدّة أوجه أنّهم كنيسة مثاليّة.

١: ٤ كان في كلّ **أدعيته**، يرفع الصلاة من أجل مؤمني فيلبي بفرح. فالصلاة لأجلهم كانت بالنسبة إليه عملاً ممتعًا ومسرًّا، لا عملاً شاقًا ومملاً. نفهم من هذا المقطع، ومن مقاطع أخرى مشابهة في كتابات بولس، أنّه كان رجل صلاة. ولا داعي بعد إلى استكمال البحث عن سبب استخدام الله له بهذا الشكل المدهش. وعندما نتذكّر مقدار رحلاته والعدد الكبير لمعارفه من المسيحيّين، يُدهشنا أنّه تمكّن من المحافظة على هذا الاهتمام الشخصي والحميم بكل واحد منهم.

١: ٥ كان السبب المحدّد الكامن وراء شكره هو **مشاركتهم** إيّاه في خدمة **قضيّة الإنجيل** من أوّل يوم **إلى الآن**. إنّ هذه المشاركة قد تعني المساعدات الماليّة له، لكنّها تمتدّ لتشمل أيضًا دعمهم إيّاه بالصلاة وتكريسهم الكامل لنشر البشارة. وعندما يتحدث بولس عن أوّل يوم، لا يسعنا إلاّ أن نسائل أنفسنا: هل كان السجان ما يزال حيًّا عند قراءة هذه الرسالة علنًا أمام الجماعة في فيلبي. إن كان الأمر كذلك، فإنّ كلام بولس هذا عن علاقته الأولى بالمؤمنين في فيلبي قد حرّك، دون شكّ، مشاعر محبّبة لدى قلب هذا السجّان.

١: ٦ وفيما تفكّر الرسول في هؤلاء المؤمنين الذين كانت لهم بداية حسنة في الحياة المسيحية، عبّر عن ثقته بأنّ الله سيُنهي **العمل الصالح** الذي كان قد **بداه فيهم**.

إنّ العمل الذي بداه ـ تعالى ـ بصلاحه،
ستكمّله حتمًا يمين قدرته؛
فوعده هو النّعم والآمين،
ولم يخلّ به قطّ ولن يخلّ البتّة!

أوغسطس توبلادي Augustus M. Toplady

إنّ **العمل الصالح** قد يشير هنا إلى خلاصهم، أو قد يعني مشاركتهم الماديّة الفعّالة لدعم قضية الإنجيل. والعبارة «**يوم يسوع المسيح**» تشير إلى زمن مجيئه ثانية لأخذ شعبه إلى بيتهم السماوي، وربّما تشمل أيضًا **كرسي المسيح** حين ستتم مراجعة خدماتنا للمسيح ومكافأتنا عليها.

١: ٧ يشعر بولس بأنّه مُبرّر في تقديمه الشكر لأجل المؤمنين في فيلبي. ففي **قلبه**، كان يكنز ذكرى باقية ودائمة للطريقة التي بها وقفوا معه بكل ولاء، سواء في محاكمته أم في سجنه، وهو متنقل من مكان إلى آخر لأجل **المحاماة عن الإنجيل وتثبيته**. إنّ المحاماة عن الإنجيل تشير إلى خدمة الرد على المنتقدين، بينما يتعلّق **تثبيت الإنجيل**، في المقابل، بترسيخ الرسالة وتثبيتها في قلوب المؤمنين. يقول فاين *W.E. Vine*: "الإنجيل يعمل على دحض أعدائه وعلى تقوية أصدقائه في آنٍ". **النعمة** تشير هنا إلى القوة التي يمنحها الله من دون أي استحقاق، لتتميم عمل الربّ في وجه المقاومة العنيفة.

١: ٨ إنّ ذكرى تعاونهم مع الرسول بأمانة، تجعله **يشتاق** أن يكون معهم مجدّدًا. لذا يدعو الله إلى أن **يشهد** عن مقدار ما في قلب بولس من شوق إليهم في **أحشاء يسوع المسيح**. إنّ تقديرنا لتعبير المحبّة هذا الصادر عن بولس،

يزداد إذا ما تذكّرنا أنّه، وهو اليهوديّ بالولادة، يكتب إلى قوم متحدّرين من الأمم. فنعمة الله قد نقضت الكراهية القديمة العهد، وها هم الآن جميعًا واحد في المسيح.

١: ٩ هنا تحلّ الصلاة مكان الشكر. فهل سيسأل بولس لأجلهم الغنى، أو الراحة والرفاهية، أو إنقاذهم من ضيقاتهم؟ لا، بل يسأل لكي تزداد **محبّتهم** باستمرار **في المعرفة وفي كلّ فهم**. فالهدف الرئيسي للحياة المسيحيّة هو **محبّة الله ومحبّة** القريب. لكن المحبة يجب ألاّ تقتصر على المشاعر. لذا نحتاج في خدمتنا الفعّالة للربّ أن نستخدم ذكاءنا وفطنتنا ونمارس **فهمنا لتمييز الأمور**. وإلاّ تعرّضت مجهوداتنا لأن تصبح تافهة ومن دون جدوى. وعلى هذا الأساس، لم يكتفِ بولس هنا بالصلاة لأجل الفيلبيين حتى يستمروا في إظهار المحبّة المسيحيّة، بل صلّى أيضًا حتى يمارسوا محبّتهم بمعرفة كاملة **وبكلّ فهم**.

١: ١٠ إنّ محبة قد استنارت بهذا الشكل، ستمكّنهم من تمييز الأمور **المتخالفة** (الممتازة أو الفضلى - حسب الأصل). ففي كلّ نواحي الحياة، ثمة أمور حسنة وأخرى أحسن منها. والحسن غالبًا ما يكون عدو الأحسن. وهذا النوع من تمييز الأمور هو ضروري إن كنّا نبغي خدمة فعّالة.

ومن جهة أخرى، ستمكّنهم المحبّة المستنيرة من تجنّب كل ما يثير الشبهات، أو ما هو شرّ بحدّ ذاته. فبولس يريد لهم أن يكونوا **مخلصين**، أي شفّافين بالتّمام وبلا لوم في ضوء **يوم المسيح**. فأن يكونوا **بلا عثرة**، لا يعني أن يكونوا بلا خطية، لأنّنا نحن جميعًا نقترف خطايا، لكن الذي بلا لوم هو الشخص الذي يعترف بخطيّته ويتركها، طالبًا المغفرة من الذين أساء إليهم، ورادًّا المسلوب قدر المستطاع.

يوم المسيح، كما في العدد السادس، يشير إلى **الاختطاف** وما يليه من محاسبة المؤمن على أعماله.

١: ١١ الطلبة الأخيرة في صلاة الرسول هي أن يكون المؤمنون **مملوئين من ثمر البر**، أي من الثمار التي ينتجها البر، أو بكل الفضائل المسيحية التي تكوّن سيرةً تتميّز بالبرّ. إنّ مصدر هذه الفضائل هو **يسوع المسيح**، والهدف منها هو **مجد الله وحمده**. وهذه الطلبة التي يرفعها بولس توازي بالتمام كلمات إشعياء ٦١: ٣: «فيُدعو أشجار البر (**مملوئين من ثمر البر**)، غرس الرب (**الذي بيسوع المسيح**) للتمجيد (**لمجد الله وحمده**)».

كتب لهمان شتراوس *Lehman Strauss* يقول: "الكلمة ثمر هي مرتبطة، في شكل وثيق، بعلاقتنا بالمسيح وبما يتوقّعه منّا. فأغصان الكرمة يُنتظر منها أن تعطي ثمرًا".

٢. حبس بولس، وتطلّعاته، وحضّه الآخرين على المثابرة (١: ١٢-٣٠)

١: ١٢ انتهت الصلاة. بعد هذا يعدّد بولس بركاته، أي الفوائد التي جناها من حبسه. يطلق جويت *Jowett* على هذا المقطع العنوان "الخير الطالع من البلوى".

كان الرسول يودّ إعلام **الإخوة** بأن أموره التي حصلت له، والتي تتعلّق بمحاكمته وحبسه **قد آلت أكثر إلى تقدّم الإنجيل**، لا إلى عرقلته، كما كان يُتوقع. نحن هنا، مرّة أخرى، أمام مثال مدهش على قدرة إلهنا على التحكّم بالمكايد التي تحوكها الأبالسة والناس، فيبزغ التصار ممّا يبدو أنّه مأساة، ويطلع جمال من الرماد. «للإنسان شره ولكنّ لله طريقه».

١: ١٣ أوّلاً، أظهرت **وُثقه** حقيقة كونه **في المسيح**. والمقصود هنا هو أنّه بات معلومًا على نطاق واسع أنّه مسجونٌ بسبب شهادته للمسيح، لا لكونه مجرمًا أو فاعل شرّ.

إنّ السّبب الحقيقي وراء **وُثقه** أصبح معروفًا في **كل دار الولاية** وفي باقي الأماكن أيضًا. إنّ **دار الولاية** قد تعني إمّا: ١- الحرس الإمبراطوري بأكمله، أي الجنود الرومان حرّاس الدار حيث مسكن الإمبراطور؛ أو ٢- القصر مع كل من فيه. وبكلمة أخرى، يقصد بولس أن يقول هنا إنّ قضية حبسه كانت بمثابة شهادة عن المسيح لممثّلي السلطة الإمبراطوريّة الرومانيّة.

كتب دروري *T.W. Drury* في هذا المجال:

> إنّ السلسلة عينها التي ثبّتتها السلطات الرومانيّة بإحكام على ساعد السجين هي التي أحضرت إلى جانبه سامعًا يمكنه أن ينقل قصة التألّم بصبر لأجل المسيح، إلى صفوف أولئك الذين قد يُدعون في اليوم التالي إلى المثول أمام القيصر نفسه.

١: ١٤ ثمّة نتيجة مباركة ثانية لحبس بولس ألاّ وهي أنّ مسيحيّين آخرين تشجّعوا من جرّائها وراحوا يشهدون للمسيح بلا خوف. فالاضطهاد غالبًا ما يحوّل المؤمنين الهادئين والخجولين إلى شهود جسورين.

١: ١٥ كان الدافع إلى الكرازة في بعض القلوب هو الحسد والخصام. فكانوا يكرزون بالمسيح عن **حسد** وعن نزاع.

لكن كان لآخرين دوافع مخلصة ونقيّة؛ إذ كانوا يكرزون بالمسيح **عن مسرّة**، مجتهدين بإخلاص لمساعدة الرسول.

١: ١٦ كان الكارزون عن حسد يظنون أنّهم، بفعلهم هذا، يجعلون حبس بولس أكثر مرارة. كانت رسالتهم جيّدة، لكن موقفهم القلبي كان سيّئًا. من المؤسف أن نفكر في أنّه بالإمكان القيام بالخدمة المسيحيّة معتمدين على طاقة الجسد المدفوعة بالطمع، والخصام، والكبرياء والحسد. وهذا إنّما يعلّمنا ضرورة السهر على سلامة دوافعنا عندما نخدم الرب. يجب ألاّ نقدم على ذلك حبًّا بالظهور، أو لنصرة طائفة دينية معينة، أو لإلحاق الهزيمة بمسيحيّين آخرين.

١: ١٧ كان آخرون يكرزون بالإنجيل عن **محبّة** نقيّة ومخلصة، **عالمين** أنّ بولس قد وقف نفسه للدفاع عن **الإنجيل**. كانت خدمتهم تخلو من كلّ أنانيّة أو تحزّب أو شراسة. وكانوا يعرفون تمامًا أنّ بولس أودِع السجن بسبب موقفه الجريء من **الإنجيل**. لذا عزموا على مواصلة الخدمة خلال فترة احتجازه.

١: ١٨ يرفض بولس أن يلحق به الإحباط من جرّاء دوافع بعضهم غير السليمة. فالفريقان كلاهما يناديان بالمسيح، وهذا بالنسبة إلى بولس مدعاة للفرح.

إنّه لأمر رائع جدًا ولافتٌ للنظر، كونُ بولس لم يرثِ لذاته، أو يحاول استدرار شفقة الآخرين، وذلك على الرغم ممّا كان يتخبّط فيه من ظروف صعبة. كان بالأحرى مملوءًا من فرح الرب، ويشجّع قرّاءه على الابتهاج أيضًا.

١: ١٩ النظرة إيجابيّة ومشجّعة. كان الرسول يعلم أنّ هذه الأحاديث جميعها ستؤول إلى **خلاصه**. وهذا الخلاص، لا علاقة له هنا بأمر خلاص نفس بولس، بل يُعنى بالحري بمسألة تحرير بولس من سجنه. أمّا الوسيلة التي على أساسها سيجري الله عملية إطلاقه هذه، فهي صلاة الفيلبيين ومعونة **روح يسوع المسيح**. يدهشنا هنا مقدار الأهمية التي يعلّقها بولس على صلوات شلّة ضعيفة من المؤمنين. إنّه يراهم هنا أقوياء

مـا فيه الكفاية لتعطيل مقاصد قوّة روما الجبّارة. وهذا صحيح، لأنّه باستطاعة المسيحيّين من طريق الصلاة، التأثير في مصير الأمم وتغيير مجرى التاريخ.

إنّ العبارة «ومؤازرة روح يسوع المسيح»، تعني قوة الروح التي تعمل لخيره، أو القوة التي سيمدّه بها الروح القدس. إنّها تشير، بشكل عام "إلى الموارد اللامحدودة التي يؤمّنها الروح القدس لتمكين المؤمنين من الصمود، وذلك مهما كانت عليه الظروف".

١: ٢٠ وفي معرض تفكيره في صلوات المسيحيين، وفي مساعدة الروح القدس له، عبّر عن شوقه القلبي ورجائه بأنّه لن يخزى أبدًا؛ بل بالحريّ يشهد دائمًا للمسيح بجرأة وبلا خوف.

كان طموحه أن يتعظّم المسيح في جسده، وذلك بمعزل عما قد تؤول إليه الإجراءات القضائية، سواء تمّ إطلاق سراحه، أم حُكم عليه بالموت. والتعظيم هنا لا يعني جعل المسيح أعظم. فهو عظيم بطبيعته؛ ومهما عملنا، فلا يمكننا أن نزيد بشيء على عظمته. لكن التعظيم يشير هنا إلى حمل الآخرين على تقدير المسيح وتسبيحه. يُظهر جي كنج *Guy King* كيف يستطيع المسيح أن يتعظّم في هذه الحياة في أجسادنا:

> ... يتعظّم بالشفاه التي تشهد عن شخصه بفرح؛ ويتعظّم بالأيدي التي تعمل في خدمته بفرح؛ ويتعظّم بالأقدام التي يكفيها شرفًا وسعادة أن تجري من أجل اسمه؛ ويتعظّم بالرّكب المنحنية بفرح للصلاة لأجل ملكوته؛ ويتعظّم بالأكتاف التي تحمل بفرح أثقال الآخرين.

باستطاعة المسيح أن يتعظّم أيضًا في أجسادنا بالموت، أي بالأجساد التي تُفنى في خدمته؛ أجساد طعنتها الرماح المتوحشة؛ وأجساد مزّقتها الحجارة أو قَضَتْ حرقًا.

١: ٢١ أمامنا هنا مختصر لفلسفة بولس في الحياة. فهو لم يعش في سبيل المال أو الشهرة أو الملذات. كان هدفه في الحياة أن يحب الربّ يسوع، ويعبده ويخدمه. وكان يرغب في أن تكون حياته مشابهة لحياة المسيح، وأن تظهر حياة المخلّص المباركة من خلاله.

والموت هو ربح. فالموت يعني أنّه سيكون مع المسيح؛ ويكون مثله إلى الأبد. وهو يعني أيضًا أن نخدمه بقلب طاهر لا يُخطئ إليه، وبأقدام لا تضلّ أبدًا. نحن عادة لا نرى في الموت ربحًا من جملة أرباحنا. ومن المؤسف القول إنّ النظرة السائدة اليوم هي التالية: "لنا الحياة هي الربح الأرضي، والموت سيكون نهاية هذا الربح". لكن يقول جويت *Jowett*: "لم يكن الموت بالنسبة إلى الرسول بولس مَعْبَرًا مظلمًا حيث تفنى كنوزنا وتفسد بسرعة؛ لكنه كان ممرًّا لطيفًا، سبيلاً يؤدي إلى النور".

١: ٢٢ إن شاءت مشيئة الله أن يحيا بولس في الجسد لبعض الوقت بعد، فهذا يعني بالنسبة إليه القيام بعمل مثمر. لكن كان من الصعب عليه أن يقرّر: هل يمضي إلى المخلّص الذي أحبّه، أو يبقى على الأرض لخدمة الرب، هذه الخدمة التي تعلّق بها جدًّا أيضًا. لم يكن يعلم ماذا يختار.

١: ٢٣ كون بولس محصورًا من الاثنين، يعني أنّه كان يلزمه أن يقرر واحدًا من احتمالين: الذهاب إلى موطنه السماوي، أو البقاء على الأرض كرسول للمسيح يسوع.

كان يتوق بشغف كبير أن ينطلق ويكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًّا. كان، ولا شكّ، سيتّخذ هذا الخيار لو أنّه لم يكن ليراعي سوى مصلحته الشخصية.

لنلاحظ أنّ بولس لم يكن يؤمن بأيّة نظرية عن رقاد النفس، بل كان يؤمن بأنّ المسيحي يمضي لحظة مماته **ليكون مع المسيح**، وبأنّه يتمتّع بحضور الربّ بشكلٍ واعٍ. كم كان سخيفًا لو قال كما يزعم بعضهم اليوم: "لي الحياة هي المسيح؛ والرقاد هو ربح". أو: "أن أنطلق وأرقد، ذاك أفضل جدًّا". فالرقاد، يذكره العهد الجديد بشأن جسد المؤمن عند موته (١تس٤: ١٤)، وليس أبدًا بشأن نفسه. إنّ رقاد النفس هو خرافة.

لنلاحظ أيضًا أنّه يجب عدم الخلط بين الموت ومجيء المخلّص لأخذنا إليه. ففي لحظة الموت، نحن نمضي **لنكون معه**، بينما في الاختطاف هو يأتي إلينا.

١: ٢٤ كان يشعر بولس بأنّه **ألزم من أجل** الفيلبيين أن يعيش على الأرض زمنًا. لذا لا يستطيع أحدنا إلاّ أن يتأثّر بعدم أنانيّة هذا الإنسان صاحب القلب الكبير. فهو لم يكن يفكّر في راحته الشخصيّة أو هنائه، بل بالحريّ في ما هو لمصلحة قضية المسيح وخير شعبه.

١: ٢٥ فإذ أنا واثق بهذا، أي بأنّه كان ما يزال هناك حاجة إليه على الأرض ليعلّم القدّيسين ويعزيهم ويشجّعهم. ولقد كان بولس على علم بأنّه لن يُحكم عليه بالموت في هذا الوقت. لكن كيف عرف ذلك؟ في اعتقادنا أنّه عاش قريبًا جدًّا من الربّ حتّى إنّه كان باستطاعة الروح القدس أن ينقل إليه هذه المعرفة. «سرّ الربّ لخائفيه» (مز٢٥: ١٤). فالذين يدخلون إلى العمق في علاقتهم بالله، ويلهجون به بهدوء، يسمعون أسرارًا تخنقها ضجة الحياة الحاضرة وجلبتها وصخبها. ينبغي لك أن تكون قريبًا لكي يتسنّى لك أن تسمع. فبولس كان قريبًا.

وهكذا سيتمكّن بولس، بفضل بقائه في الجسد، من تعزيز **تقدّمهم** الروحي ومن زيادة **فرحهم** الناتج من وثوقهم بالربّ.

١: ٢٦ إنّ بقاء بولس على قيد الحياة لمدّة أطول، يستطيع خلالها أن يخدم الرب على الأرض، يمنح الفيلبيين سببًا إضافيًّا **للابتهاج والافتخار** في الربّ، متى جاء بولس لزيارتهم من جديد. أليس بإمكانك تخيّل كيف سيعانقونه ويقبّلونه، مسبّحين الربّ بفرح عظيم عندما يحضر إلى فيلبي؟ لربّما سيخاطبونه بالقول: "حسنًا يا بولس، لقد صلينا لأجلك، لكنّنا بكلّ صراحة لم نكن نتوقّع قطّ أن نراك هنا مجدّدًا. لكن كم نحمد الربّ لأنّه وهبنا إيّاك مرّة أخرى".

١: ٢٧ والآن يضيف بولس كلمة تحذير: «**فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح**». فعلى المسيحيين أن يتشبّهوا بالمسيح. كما إنّ على مواطني السماء أن يعيشوا على هذا الأساس. نحتاج أن نكون، عمليًّا ومسلكيًّا، على ما نحن عليه من جهة مقامنا أو مركزنا في المسيح.

بالإضافة إلى هذه المناشدة للانسجام مع النفس، يعود الرسول فيحثّ أيضًا على المثابرة والثبات. وبالتحديد، كان يريد، سواء جاء إليهم شخصيًّا أم كان غائبًا عنهم يسمع أخبارهم، أن يعرف عنهم أنّهم يثبتون في روح مشترك، ويعملون متّحدين وبكلّ جدّية لأجل إيمان الإنجيل، أي الإيمان المسيحي. فالمسيحيون يواجهون عدوًّا مشتركًا؛ لذا وجب ألاّ يحاربوا بعضهم بعضًا، بل يتّحدوا ضدّ العدو.

١: ٢٨ كذلك لا داعي إلى أن **يخافوا** من أعداء الإنجيل. إنّ لعدم الخوف في وجه الاضطهاد معنى مزدوجًا: أوّلاً، إنّه ينبئ بهلاك الذين يقاومون الله. وثانيًا، إنّه علامة **لخلاص** أولئك الذين يتّحدون بشجاعة غضب العدو.

ويُرجَّح أنَّ **الخلاص** استُخدم هنا بصيغة المستقبل، للإشارة إلى نجاة المؤمن من التجربة في آخر المطاف وإلى فداء جسده، كفداء روحه ونفسه أيضًا.

١: ٢٩ على الفيلبيين أن يبقوا متذكّرين أنَّه امتياز لهم أن يتألّموا لأجل المسيح، كما أيضًا أن يؤمنوا به.

كتب الدكتور جريفث جون *Dr. Griffith John* أنَّه عندما أحاط به ذات يوم حشد من الوثنيين المعادين لإيمانه وأقدموا على ضربه، جعل يده على وجهه. لكن عندما عاد ومدها، رأى أنَّها كانت تغرق في حمام من الدم. "لقد اعتراه شعور غريب في نوعه من السموّ والرِّفعة، وهكذا ابتهج لأنَّه حُسب أهلاً للتألم من أجل اسم الرب". أليس رائعًا أن تتمكّن المسيحيّة من أن تسمو بالألم إلى هذا الحدّ؟ حقًّا، حتّى "الذي يظهر أنَّه تافه، ستُلهِبه النّار الخالدة متى كان على صلة بالربّ اللامتناهي". فالصليب يعطي كرامة وشرفًا.

١: ٣٠ إنَّ العبارة «إذ لكم» هي التي تربط ما بين هذا العدد والعدد السابق:

لقد مُنحتم امتياز التألّم لأجل المسيح، بما أنَّكم مُنخرِطون في الجهاد **نفسه** الذي **رأيتموه** فيّ عندما كنت في فيلبي، **والآن تسمعون** أني لا أزال منكبًّا عليه.

٣- الحث على الوحدة انطلاقًا من مثال المسيح في الاتّضاع والتضحيّة (٢: ١-١٦)

كانت كنيسة فيلبي مثالية ونموذجيّة من عدّة أوجه، الأمر الذي حَمَلَ الرسول بولس على مدح للقديسين هناك بحرارة؛ إلا أنه كان فيها تيّار سفلي من النزاع والصراع. كان ثمّة اختلاف في الرأي بين امرأتين، أفودية وسنتيخي (٤: ٢). ومن المفيد أن نتنبّه إلى هذا الأمر، إذ إنَّ الرسول يتناول بشكل مباشر في الأصحاح الثاني سبب النزاع بين شعب الله وطرق المعالجة.

٢: ١ «إن» في هذه الآية، لا تشير إلى شكّ، بل إلى حجة. ففي هذه الآية ذكرٌ لأربعة اعتبارات عظمى من شأنها أن تجذب المؤمنين بعضهم إلى بعض وتجعلهم يعيشون معًا في انسجام وتعاون. فالرسول يصرّح هنا بما معناه: "**بما أنَّه** ثمة الكثير من التشجيع **في المسيح**، **وبما أنَّ محبّته** تحمل كل هذه القدرة على الإقناع، **وبما أنَّ الروح القدس** يجمعنا **في شركة** مباركة كهذه، وبما أنَّ المسيحيّة فيها الكثير من الأحشاء والرأفة، يجب أن نتمكّن من العيش معًا بكل انسجام".

يصف ف.ب. ماير *F.B. Meyer* هذه الدوافع الأربعة على الشكل التالي:

١- قدرة المسيح على الإقناع.
٢- ما تولّده المحبة من اهتمام حنون بالآخرين.
٣- مشاركة الروح القدس.
٤- التعاطف الإنساني والشفقة.

من الواضح أنَّ مناشدة الرسول هذه وحثّه على الوحدة، قد بناهما على الولاء المشترك للمسيح وعلى سكنى الروح القدس فيهم جميعهم. وهكذا يترتب على أعضاء جسد المسيح، في ضوء كل ما صار لهم **في المسيح**، أن ينعموا بوحدانيّة الهدف والمحبّة والرأي والعطف.

٢: ٢ يتوسّل بولس إلى الفيلبيين، في ضوء هذه الحجج، أن **يتمموا فرحه**. فالفيلبيون كانوا، حتى ذلك الحين، قد فرّحوا بولس كثيرًا. وهو لا ينكر لحظة حقيقة هذا

الأمر، لكنّه يسألهم الآن أن يملأوا كأس فرحه حتى الفيض. وهذا يحصل عندما **يفتكرون فكرًا واحدًا ولهم محبة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شيئًا واحدًا**.

هل يعني هذا أنّه يُتوقّع من المسيحيّين جميعهم أن يتشابهوا في التفكير وفي التصرّف؟ إنّ كلمة الله لا تلمّح البتّة إلى هذا الأمر؟ فبينما يُنتظر منّا أن نتّفق حول الأمور الجوهرية العظمى في الإيمان المسيحي، من الواضح أنّه قد تظهر بيننا اختلافات كثيرة في الرأي حول بعض المسائل الثانوية. فالتوافق التامّ والوحدة لا يشيران إلى الأمر عينه. هذا لأنّه من الممكن أن يكون لدينا المفهوم الأخير بمعزل عن الأوّل. ومع أنّنا ربّما لا نتّفق حول المسائل الثانوية، فبوسعنا غضّ النّظر عن آرائنا الخاصّة، حيث لا مبدأ جوهريًّا وأساسيًّا في المسألة، وذلك لخير الآخرين.

أن يفتكروا فكرًا واحدًا، يعني في الواقع أن يكون لهم فكر المسيح، ويروا الأشياء بمنظاره وكما يراها هو، ويسلكوا كما كان يسلك هو. أن تكون **لهم محبة واحدة**، يعني أن يظهروا للآخرين المحبة عينها التي أظهرها الرب لنا، هذه هي المحبة التي أعطت وضحّت من دون حساب. بالمقابل، أن يكونوا، بنفس واحدة، يعني العمل معًا بانسجام للبلوغ إلى الهدف المشترك. أخيرًا، أن **يفتكروا شيئًا واحدًا**، يعني أنّ مقدار اتّحادهم في العمل يبيّن أنّ فكر المسيح هو الذي يوجّه نشاطاتهم.

٢: ٣ يجب ألاّ يُقدموا على عمل أيّ شيء بتحزب أو بعُجب، لأنّ هاتين الآفتين تشكّلان أعظم عدوّين للوحدة بين شعب الله. **فالتحزّب**، أو الطموح الأناني كما ورد في بعض الترجمات، هو رغبة الإنسان في أن يتبوّأ المرتبة الأولى مهما كلّف الأمر. بالمقابل، يشير **العجب** إلى الكبرياء أو حب الظهور. فحيثما عثرت على أناس يهمهم أن يجمعوا زمرة حواليهم، أو أن يعززوا مصالحهم الشخصية، فسترى هناك بذور النزاع والشقاق. أمّا العلاج لهذه الحالة، فهو معروض في القسم الأخير من هذه الآية. بل **بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم**. وهذا لا يعني أنّه يلزمنا أن نعتبر أنّ المجرمين هم أفضل منّا أدبيًّا، بل يحتم علينا بالحري أن نعيش لأجل الآخرين، ناكرين أنفسنا، وجاعلين مصالحهم قبل مصلحتنا. قد يكون من السهل علينا قراءة توصية كهذه في كلمة الله، لكن تقدير مضمونها الحقيقي ووضعها موضع التنفيذ في حياتنا العملية، هو أمر مختلف تمامًا. أن **نحسب بعضنا بعضًا أفضل من أنفسنا**، هي مسألة غريبة بالتمام عن الذهن البشري، وليس باستطاعتنا تتميم ذلك بقوّتنا الذّاتية. فنحن لا يمكننا أن نعيش هذا الحق إلاّ بعد أن يسكن فينا الروح القدس ويعزّزنا بالقوّة اللازمة.

٢: ٤ إنّ العلاج للمشاكل القائمة بين صفوف شعب الله، يكون من طريق الاهتمام **بما هو للآخرين** أكثر من الاهتمام بما هو **لأنفسنا**. فالكلمة «الآخرون» تشكّل، عن حق، المفتاح لهذا الفصل. فنحن على قدر ما نقدّم حياتنا لخدمة الآخرين بكل تفانٍ، نستطيع عندئذ أن نرتقي ونسمو فوق نزاعات البشر الأنانية.

الآخرون، يا رب، أجل، الآخرون،
ليكن هذا شعاري دائمًا؛
ساعدني أن أحيا لأجل الآخرين،
حتى يتسنّى لي أن أحيا مثلك.

تشارلز مايجز Charles D. Meigs

٢: ٥ فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا. بولس هو مزمع الآن أن يعرض أمام عيون الفيلبيين مثال الرب يسوع المسيح. أيّ موقف برز في حياته؟ وما الذي ميّز تصرّفه مع الآخرين؟ لقد أجاد كنج *Guy King* عندما وصف فكر المسيح بأنّه: ١- فكر نكران الذات؛ ٢- فكر التضحيّة؛ ٣- وفكر الخدمة. كان الرب يسوع يفكّر في الآخرين باستمرار.

لم يكن يذرف على أحزانه دمعة
لكن على أحزاني سال دمه قطرة قطرة

تشارلز جابريال Charles H. Gabriel

٢: ٦ عندما تقرأ أن المسيح يسوع كان في **صورة الله**، نتعلّم من هذا أنّه كان موجودًا منذ الأزل بصفته الله. وهذا لا يعني أنّه كان يشبه الله فحسب، بل كونه هو الله حقًا.

ومع هذا، **لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله**. من المهمّ هنا أهميّة قصوى أن نجعل تمييزًا بين التعادل الشخصي مع الله والتعادل معه - تعالى - في المقام. فالمسيح من ناحية شخصه، كان، وهو الآن، وسيبقى معادلاً لله. كما أنّه يستحيل عليه أن يتخلّى عن هذا ويتنازل عنه. لكن التعادل في المقام هو أمر مختلف. فمنذ الأزل، والمسيح معادل لأبيه في المقام، وهو يتمتّع بأمجاد السماء. لكنّه **لم يحسب** هذا المقام شيئًا ينبغي التمسك به بأي ثمن. وعندما احتاج عالم البشر الساقطين إلى فداء، كان على استعداد أن يتخلّى عن تعادله في المقام مع الله، وعن رفاهية السماء وأفراحها. **فهو لم يحسب** هذه أمورًا ينبغي التمسّك بها إلى الأبد مهما كانت الظروف.

وهكذا كان مستعدًا للمجيء إلى هذا العالم ليعاني مقاومة الخطاة له. فالله الآب لم يُبصق عليه قط، ولا ضُرب، ولا صُلب. وبهذا المعنى، كان الآب أعظم من الابن. لم يكن أعظم منه من حيث شخصه، بل من حيث مقامه وظروف وجوده. عبّر يسوع عن هذه الفكرة في يوحنا ١٤: ٢٨: «لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب. لأنّ أبي أعظم منّي». وبكلمة أخرى، كان على التلاميذ أن يفرحوا بمعرفة أنّ الرب عائد إلى بيته السماوي. فإبان وجوده على الأرض، عومل بوحشية ورُفض. لقد اجتاز في ظروف أدنى من الظروف التي ينعم بها أبوه. وبهذا المعنى، كان أبوه أعظم منه. لكن لدى رجوعه إلى السماء سيكون معادلاً للآب في ظروفه، كما في شخصه أيضًا.

يوضّح لنا جفورد *Gifford* ما يلي:

> إذًا، إنّ الفقرة الثانية («لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله») لا تتناول طبيعة وجود المسيح أو جوهره، بل بالحري *شكل* هذا الوجود. إن أي شكل من الوجود قد يتبدّل إلى شكل آخر، أمّا الطبيعة الجوهرية فتبقى هي هي لا تتغير. لنستعرض معًا الإيضاح الذي يقدّمه الرسول بولس في ٢ كورنثوس ٨: ٩ «فإنّكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنّه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره». إنّنا نشهد في كلا الحالين هنا تغييرًا في *شكل الوجود*، لا في طبيعته. فالإنسان الفقير عندما يصبح غنيًّا، يكون من جرّاء ذلك قد طرأ تغيير على شكل وجوده، لا على طبيعته كإنسان. وهكذا هي الحال مع ابن الله: لقد كان يعيش في الغنى والمجد، *وهذا الشكل من الوجود* الذي يليق بطبيعته الإلهية. لكنّه ارتضى، من أجلنا، أن ينزل، في ما يتعلّق بحياته البشرية، إلى شكل من الوجود أدنى من ذي قبل وأقل غنى منه، اتّخذه لمّا اتّخذ طبيعة إنسان.

٢: ٧ لكنّه أخلى نفسه. إنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: "ممّ أخلى الرب يسوع نفسه؟". ينبغي لنا أن نكون حذرين جدًّا في معرض الإجابة عن هذا السؤال. إذ إنّ المحاولات البشريّة التي بُذلت لتحديد عمليّة الإخلاء هذه غالبًا ما آلت إلى تجريد المسيح من سجايا اللاهوت التي له. فبعضهم يزعم مثلاً أنّ الرب يسوع، إبان حياته على الأرض، لم يعد كليّ المعرفة ولا قادرًا على كلّ شيء. كذلك فَقَدَ حضوره في كل مكان في اللّحظة عينها. وهم يعتبرون أنّه ارتضى طوعًا أن يطرح جانبًا سجايا اللاهوت هذه عند مجيئه إلى العالم كإنسان. كما ادّعى آخرون أنّه كان خاضعًا لشتى المحدوديات البشريّة، وأصبح عُرضة للسقوط في الخطإ أو الضلال، وتبنّى الآراء والأساطير التي كانت شائعة في زمانه.

نحن ننكر هذا تمامًا. فالرب يسوع لم يطرح جانبًا أيًّا من سجايا الله لدى مجيئه إلى العالم. كان ما يزال كليّ المعرفة، وكان ما يزال حاضرًا في كل مكان في اللحظة عينها، وكان ما يزال قادرًا على كل شيء.

ما فعله الرب هو أنّه أخلى نفسه من تعادله مع الله في المقام، وحجب مجد الألوهيّة في جسم بشري. فالمجد كلّه كان هناك، مع أنّه محجوب ومخفي، وكان يضيء ويشعّ في بعض المناسبات كما حصل على جبل التجلي. لم يكن المسيح في أيّة لحظة من لحظات حياته هنا على الأرض يعيش من دون حيازته سجايا اللاهوت جميعها.

> طرح عنه جانبًا ثوبه الإلهي،
> وأخفى لاهوته وراء حجاب من طين،
> وفي هذا الرداء أظهر محبّة مدهشة
> رائعًا ما لم يخطفه قطّ.

وكما أسلفنا، ينبغي لنا أن نتوخّى الحذر الشديد في معرض تفسيرنا لمعنى العبارة «أخلى نفسه». إنّ أفضل أسلوب مأمون هو أن ندع التعابير التّالية توضح لنا المعنى. لقد أخلى نفسه **آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس.** وبكلمة أخرى، لقد أخلى نفسه باتخاذه، فوق ما عنده، شيئًا لم يكن لديه قط، أي الناسوت. إنه لم يطرح جانبًا ألوهيته، بل مكانه في السماء فقط، وذلك بشكل مؤقت أيضًا.

لو كان مجرد إنسان، لما شكّل هذا عملية إخلاء نفسه. فنحن لا نُخلي أنفسنا عندما نولد في العالم. لكن، أن يصبح الله إنسانًا، فهذا ينطوي على إخلاء للنفس. وفي الواقع كان باستطاعة الله وحده القيام بذلك.

آخذًا صورة عبد. من الممكن إيجاز تجسّد المخلّص وسيرة حياته بهذه الكلمات العذبة من يوحنا ١٣: ٤ «(يسوع) خلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها». فالمنشفة أو المئزر هي علامة الخدمة، كان يستخدمها العبيد. كما أنّ ربنا المبارك يسوع استخدمها أيضًا لأنّه «لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨).

لكن دعونا نتوقّف قليلاً لنذكّر أنفسنا بالتسلسل الفكري الذي يتّبعه هذا النصّ. لقد كانت هناك خصومات بين صفوف القدّيسين في فيلبي، فناشدهم بولس أن يكون لهم فكر المسيح. إن حجّته، بكل اختصار، هي أنّه في حال رضي المسيحيون بأن يأخذوا المكان الحقير، فيخدموا بعضهم بعضًا، ويعيشوا حياة مضحيّة حتى الموت، لن يكون ثمة أيّة مشاجرات. فالناس المستعدّون أن يموتوا من أجل الآخرين، لا يتشاجرون معهم، مهما كانت الأسباب.

المسيح كان دائمًا موجودًا، لكنّه جاء إلى العالم **صائرًا في شبه الناس**، أي "إنسانًا حقيقيًّا"، فناسوت الرب هو حقيقي كلاهوته. فهو الله الحقيقي والإنسان الحقيقي. لكن ما أعظم هذا السر! لن يتسنّى البتّة لأي ذهن مخلوق أن يسبر أغواره.

٢: ٨ يصف كل جزء من هذا المقطع العمق المتزايد الذي بلغه تذلل ابن الله الحبيب. لم يكن على استعداد لأن يُغادر إلى حين مجد السماء فحسب، بل إنّه أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد. لقد أصبح إنسانًا. وها نحن الآن نقرأ عنه أنّه **وَضَع نفسه** بعد. فما مِن عمقٍ تردّد ربّ المجد في الانحناء لبلوغه كي يخلّص نفوسنا الأثيمة. ليتبارك اسمه المجيد إلى الأبد!

لقد وضع نفسه، بأن **أطاع حتى الموت**. هذا الأمر عجيب في أعيننا. لقد أطاع مع إنّ ذلك كلّفه حياته. **وأطاع حتى الموت**، بمعنى أنّه أطاع إلى النهاية. حقًّا، كان هو ذلك التاجر الذي مضى وباع كل ما لديه ليشتري اللؤلؤة الكثيرة الثمن (مت١٣: ٤٦).

موت الصليب: كان الموت صلبًا أكثر أساليب الإعدام مجلبة للعار. وبالإمكان مقارنته بالشنق، و بالكرسي الكهربائي، أو بغرفة الغاز السام، هذه الأساليب المخصّصة للمجرمين والقتلة. وهذا أيضًا كان شكل الموت الذي خُصِّص للرب الذي هو الكائن الأسمى في السماء، عندما وافى عالمنا. فهو لم يُسمح له بأن يموت ميته طبيعيّة في سريره. كما أنّ ميتته كان يجب ألاّ تحدث على أثر حادث فجائي. بل كان ينبغي له أن يموت موت العار على الصليب.

٢: ٩ والآن، ثمة تغيير مفاجئ قاطع. فالأعداد السابقة تصف ما فعله الرب يسوع، إذ اعتمد سبيل نكران النفس. فهو لم يطلب اسمًا أو شهرة لنفسه، بل وضع نفسه.

وها نحن الآن ننتقل لنتأمل في ما فعله الله. فإذا كان المخلِّص قد وضع نفسه، **فالله رفّعه** أيضًا. وإن كان لم يطلب اسمًا لنفسه، فإن الله **أعطاه اسمًا فوق كل اسم**. وإن كان قد حنى ركبتيه في خدمة الآخرين، فالله قرّر أنّ كلّ ركبة ستنحني جاثية له.

وما هو الدّرس من كلّ هذا بالنسبة إلى الفيلبيين، وبالنسبة إلينا نحن أيضًا؟ الدّرس هو أنّ الطريق إلى فوق تبدأ من تحت. علينا ألاّ نرفّع نفوسنا، بل نكون خدّامًا للآخرين حتى يرفعنا الله في حينه.

لقد رفّع الله المسيح، إذ أقامه من الأموات فاتحًا السماوات لاستقباله ليكون في مكانه في يمين عظمته. وليس هذا فحسب، بل الله **أعطاه اسمًا فوق كلّ اسم**.

يختلف الدارسون حول تحديد هويّة هذا الاسم. فبعضهم يقول إن هذا الاسم هو يسوع، الذي يتضمّن الاسم يهوه. ففي إشعياء ٤٥: ٢٢، ٢٣، مكتوب إنّ كل ركبة ستجثو لاسم يهوه (الله). آخرون بالمقابل، يرون أن **الاسم فوق كل اسم** هو مجرّد صورة بلاغيّة للإشارة إلى أعلى مقام في الكون، مقام السموّ والسلطة. وكلا التفسيرين صحيح ومقبول.

٢: ١٠ كان الله راضيًا بالكلية على عمل المسيح الفدائي، حتى قرّر أنّ **كل ركبة ممّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض**، يجب أن تنحني له **وتجثو باسمه**. لكن هذا لا يعني أنّ جميع هؤلاء الكائنات سيخلصون. فالذين لا ينحنون له طوعًا الآن، سيأتي يوم فيه يُرغمون على ذلك. كما إنّ الذين يرفضون أن يتصالحوا معه في يوم نعمته، سيُخضعون له في يوم دينونته.

٢: ١١ لقد انتقل الرب يسوع من المجد إلى بيت لحم، فإلى جثسيماني، ومن ثم إلى الجلجثة، وكل هذا بالنعمة التي لا تضاهى. أمّا الله، بالمقابل، فسيكرمه، إذ يجعل الكون بجملته يقدّره، وينتزع اعترافًا من الجميع بحقيقة ربوبيّته. والذين تنكّروا لما قاله المسيح عن نفسه، سيُقِرّون ذات يوم بأنّهم تصرّفوا بجهل، وضلّوا كثيرًا، وأن يسوع الناصري هو حقًّا ربّ المجد.

وقبل أن نترك هذا النص الرائع عن شخص الربّ يسوع وعن عمله، علينا أن نكرّر أنّ الرسول أورده في معرض معالجته لمشكلة طفيفة طرأت في كنيسة فيلبي. فالرسول بولس لم يقصد أن يكتب دراسة عن الربّ. لكنّه كان يسعى، ببساطة، لتصحيح ما ظهر في صفوف القدّيسين من أنانيّة وروح تحزّب. إنّ العلاج لحالتهم هذه هو فكر المسيح. فبولس يستشهد بالرب في كل حالة وفي كل ظرف. وقد كتب إردمان *Erdman* في هذا السياق يقول: "إنّ بولس، حتى في معرض معالجته لأكثر المسائل دقة وأكثرها إيلامًا وتنفيرًا، يستطيع أن يقدّم الحق بقالب جميل وعذب، الأمر الذي يجعله يظهر كلؤلؤة نفيسة مطمورة في كومة من التراب".

٢: ١٢ بات الرسول، بعد عرضه مثال المسيح بكل هذا الرونق البهي والمشرق، على استعداد الآن لتقديم المناشدة المبنية عليه.

كان الفيلبيون قد أطاعوا كل حين بولس في حضوره عندهم. والآن بالأولى جدًّا في غيابه، ينبغي لهم أن يتمّموا خلاصهم بخوف ورعدة.

من جديد، نأتي إلى نص كتابي كان وما يزال محطّ جدل واسع النطاق. يلزمنا، منذ البداية، أن نوضح أنّ بولس لا يعلّم في هذا العدد أنّ الخلاص يمكن اكتسابه من طريق الأعمال. ففي كل كتاباته، نراه يشدّد دائمًا على أنّ الخلاص ليس بالأعمال، بل بالإيمان بالرب يسوع المسيح. إذًا، ما معنى هذا العدد؟

١ـ قد يعني أنّنا نحتاج أن **نتمّم** الخلاص الذي جعله الله في دواخلنا. فالله أعطانا حياة أبدية كهبة مجانية. يبقى علينا أن نعيش في ضوء هذه الحقيقة حياة القداسة العمليّة.

٢ـ **الخلاص** قد يعني، في هذا العدد، الحلّ لمشكلتهم في فيلبي. لقد كانوا غارقين في شجارات ونزاعات. فأعطاهم الرسول العلاج. والآن يلزمهم وضع هذا العلاج موضع التنفيذ، إذ يكون لهم فكر المسيح. وبذلك يتممون خلاصهم، أو الحل لمعضلتهم.

إنّ **الخلاص** المذكور هنا لا علاقة له بخلاص النفس، بل يُعنى بإنقاذ المؤمن من الأشراك التي تعيقه من تتميم إرادة الله. وعلى هذه الوتيرة عينها، يصفه فاين *Vine* بأنّه اختبار الإنقاذ الكامل من الشر، في الوقت الحاضر.

للخلاص عدّة معانٍ مختلفة في العهد الجديد. لقد سبق لنا أن أشرنا في ١: ١٩ إلى أنّه يعني الإنقاذ من السجن. وفي ١: ٢٨، جاء الكلام عن خلاص أجسادنا في نهاية المطاف من وجود الخطيّة بالذات. والمعنى في كل حالة معيّنة، يجب أن يقرّر، جزئيًّا على الأقل، في ضوء القرينة. وفي اعتقادنا أنّ **الخلاص** في هذا النص يشير إلى الحل للمشكلة التي كانت تتعب الفيلبيين، أي خصوماتهم.

٢: ١٣ والآن يذكّرهم بولس أنّ باستطاعتهم تتميم خلاصهم، **ذلك لأنّ الله هو العامل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا من أجل المسرّة**. وهذا يعني أنّ الله هو الذي يولّد فينا أوّلاً الشوق أو الرغبة لفعل إرادته. ومن ثَمّ هو الذي يمنحنا القوة لتنفيذ هذا الشوق.

وهنا أيضًا نشهد هذا الاندماج الرائع بين ما هو إلهي وما هو بشري. فمن جهة، نحن مدعوون إلى تتميم خلاصنا؛ ومن جهة أخرى، الله وحده هو الذي يؤهّلنا لفعل ذلك. نحن نحتاج أن نقوم بما يترتّب علينا، والله سيعمل ما يترتّب عليه. (غير أنّ هذا لا ينطبق على غفران الخطايا، ولا على الولادة الجديدة. فالفداء هو بالكلّية عمل الله. ونحن نحتاج ببساطة أن نؤمن به ونقبله).

٢: ١٤ وفيما نتمّم مسرّة الله، يجب أن يتمّ ذلك من دون تَشَكٍّ أو تساؤل، "ليس جزئيًّا بل بعزم كلي" **فالدمدمة والمجادلة** غالبًا ما تؤديان إلى إساءات أخطر.

٢: ١٥ باستطاعتنا، إذا تجنبنا التذمر والخصام، أن نكون **بلا لوم وبسطاء** (مخلصين وصادقين). فأن يكون أحدهم **بلا لوم**، يعني أنّه من غير الممكن إثبات أيّة تهمة عليه (راجع دانيآل ٦: ٤). إنّ من هو **بلا لوم** قد يخطئ لكنّه يسارع على الاعتذار، والاعتراف، والتعويض عن الإساءة إن أمكن. أمّا **البساطة** هنا، فقد وردت بمعنى الإخلاص والخلو من أي غش.

على **أولاد الله** أن يكونوا **بلا عيب في وسط جيل معوّج وملتوٍ**. وهكذا سيتسنى لأولاد الله، بفضل حياتهم المباركة والخالية من العيوب، أن يبرزوا، بأكثر وضوح، مقابل خلفية هذا العالم المظلمة. وهذا يقود بولس إلى اعتبارهم **كأنوار** في ليلة مكفهرّة. وعلى قدر ما يشتد ظلام الليل، يظهر النور ويشع بأبهى لمعانه. فالمؤمنون المسيحيون هم أنوار، أو حاملو نور. هذا لأنّه ليس بمقدورهم أن يولّدوا أي نور، بل باستطاعتهم أن يعكسوا مجد الربّ حتى يتسنّى للآخرين رؤية يسوع فيهم.

٢: ١٦ متمسّكين بكلمة الحياة. نحن كأنوار نضيء، لكن هذا لا يشكّل أي عذر لنا حتى لا نشهد بأصواتنا. يجب أن تتوافر لدينا الشهادة المزدوجة، بالحياة وبالشفاه.

يعلّم الرسول أنّه سيكون له بعض الأساس للافتخار **في يوم المسيح**، إذا تمّم الفيليبيون هذه المهام. فهو يشعر بمسئولية لا أن يرى النفوس تخلص فحسب، بل أيضًا أن يحضر كل إنسان كاملاً في المسيح (كو١: ٢٨).

إنّ **يوم المسيح** يشير إلى زمن رجوعه وإلى محاسبة المؤمن على خدمته (١: ٦، ١٠). فإذا كان الفيليبيون أمناء في عملهم للرب، فعند ذاك يظهر أنّ خدمة بولس **لم تكن باطلة**.

٤. قدوة بولس، وتيموثاوس، وأبفرودتس في تمثّلهم بالمسيح (٢: ١٧-٣٠)

كان بولس، في الفقرة السّابقة، قد قدّم الربّ يسوع بوصفه المثال الأوّل والرئيسي للفكر الوديع. لكن قد يعترض أحدهم بالقول: "آه، لكنه هو الله، ونحن مجرّد بشر مائتين". لذا يعرض بولس في هذا الأعداد ثلاثة أمثلة عن أناس أظهروا فكر المسيح: بولس نفسه، وتيموثاوس، وأبفرودتس. وإذا كان المسيح هو الشمس، فعندئذٍ يكون هؤلاء الثلاثة أقمارًا تعكس مجد الشمس. إنّهم أنوار في وسط عالم مظلم.

٢: ١٧ يستخدم الرسول إيضاحًا جميلاً جدًّا لوصف خدمة الفيليبيين وخدمته هو. إنّه يستعير الصورة

من الممارسة المألوفة لدى كل من اليهود والوثنيّين في صبّهم سكيبًا على الذبيحة خلال تقديمها.

إنّه يتحدّث عن الفيلبيين كالذين يقرّبون الذبيحة. **وإيمانهم** هو هذه **الذبيحة** وبولس نفسه **السكيب** فهو يسرّ بأن **يُسكب كشهيد على مذبح إيمانهم وخدمته.**

يعلّق وليمز *Williams* على هذا بالقول:

> يقارن الرسول ما لدى الفيلبيين من تضحية بالنفس، ومن نشاط، بتضحيته وبنشاطه هو، معظّمًا إيّاهم، ومقلّلاً من شأنه هو من هذا القبيل. كان كلّ منهما يبذل الحياة في سبيل الإنجيل، لكنّه يعتبر أنّ عملهم يشكّل الذبيحة العظمى، بينما عمله هو ليس أكثر من سكيب يُسكب على هذه الذبيحة. إنّه من خلال هذه الصورة الجميلة يتحدّث عن موته الوشيك والمحتمل كشهيد. فإن أصبح ذلك نصيبه، فإنّه **سيُسرّ ويفرح به.**

٢: **١٨** ولهذا السبب عينه، يحتاج الفيلبيون أن **يُسَرّوا ويفرحوا** مع بولس. عليهم ألاّ ينظروا إلى استشهاده المحتمل كأنّه مأساة، بل يهنئونه بالحري على رحيله المجيد هذا إلى موطنه السماوي.

٢: **١٩** كان بولس، حتى هذا الحدّ، قد ذكر مثالين على المحبة المضحّية بذاتها: شخص الرب يسوع المسيح، وبولس نفسه. كان كل واحد منهم على استعداد أن يسكب الحياة حتى الموت. بقي لدينا مثالان على نكران النفس: **تيموثاوس وأبفرودتس.**

كان الرسول يأمل **إرسال تيموثاوس** إلى فيلبي في القريب العاجل لكي **تطيب نفسه** متى اطّلع على أخبارهم.

٢: **٢٠** كان تيموثاوس بين مرافقي بولس، فريدًا في اهتمامه اللاأناني بحالة الفيلبيين الروحية. لم يكن لدى بولس أحد آخر، يرسله إليهم ويثق به كوثوقه بتيموثاوس. وهذا إنّما يشكّل مديحًا رفيعًا لشاب نظير تيموثاوس.

٢: **٢١** أمّا الآخرون، فقد غرقوا في خضم مصالحهم الشخصية. هؤلاء أصبحوا منغمسين في هموم هذا العالم، حتى لم يعد لديهم أي وقت **لما هو ليسوع المسيح.** هل لنا في هذا رسالة، نحن اليوم، في عالمنا الصغير، عالم البيوت، والبرّادات، وأجهزة التلفزيون، وسائر الأشياء (راجع لو٨: ١٤).

٢: **٢٢** كان تيموثاوس ابن الرسول في الإيمان، وقد قام بهذا الدور بأمانة صادقة. كانوا يعرفون **اختباره،** أو خُلقه المزكّى كما أوردت بعض الترجمات. كذلك عرفوا قدره على حقيقته، **لأنّه** كما يخدم **الولد مع أبيه،** هكذا خدم تيموثاوس مع بولس في عمل الكرازة **بالإنجيل.**

٢: **٢٣، ٢٤** وبما أنّ تيموثاوس برهن على مصداقيته بهذا الشكل، كان بولس يرجو **إرساله** إلى الفيلبيين بمجرد أن يعرف نتيجة رفع قضيّته إلى القيصر. هذا ما عناه الرسول بالعبارة **أوّل ما أرى أحوالي.** إنّه يأمل أن ينجح رفعُ دعواه إلى القيصر، فيُطلَق سراحه، وهكذا يتسنّى له زيارة الفيلبيين مرّة أخرى.

٢: **٢٥** من ثمّ، نرى فكر المسيح في **أبفرودتس.** لا يمكننا أن نتيقّن أنّه هو نفسه أبفراس المذكور في كولوسي ٤: ١٢. لكنّه، وعلى كل حال، عاش في

فيلبي وكان مبعوث الجماعة المسيحيّة فيها.

بولس يتحدّث عنه بصفته: **١- أخي؛ ٢- والعامل معي؛ ٣- والمتجنّد معي.** فاللّقب الأوّل يتعلّق بالعاطفة، والثاني بالاجتهاد في العمل، والثالث بالجهاد الروحي. لقد كان رجلاً باستطاعته العمل مع الآخرين، وهذا يشكّل، بكل تأكيد، ضرورة حيوية في الحياة المسيحيّة وفي الخدمة. فالمؤمن قد يعمل وحده وبالاستقلال عن الآخرين، فيتمّم كل شيء على طريقته الخاصة. لكن من الأصعب بكثير أن يعمل مع آخرين، متمّمًا ربّما أحد الأدوار الثانوية؛ ومُفسحًا في المجال للفروقات الشخصيّة، ويطمس رغباته وآراءه لخير الجماعة. لذا دعونا نكون **عاملين معًا ومتجنّدين معًا.**

بالإضافة إلى ذلك، يذكر بشأنه بولس أنّه **رسولكم والخادم لحاجتي.** وهذا يزوّدنا بمعلومات قيّمة أخرى عن شخصيّته. لقد كان مستعدًا لأن يقوم بعمل وضيع أو عادي. ففي أيّامنا هذه، معظمنا لا يكترث إلاّ للأعمال وللخدمات الظاهرة والمحبّبة. من هنا، كم ينبغي لنا أن نكون شكورين لأجل أولئك الذين ينجزون العمل الرتيب بكل هدوء وبعيدًا عن الأضواء. لقد كان على أبفرودتس أن يتواضع ويتذلّل في معرض قيامه بالعمل المضني. لكن الله رفّعه، إذ سجّل أخبار خدمته الأمينة في الأصحاح الثاني من رسالة فيلبي، لكي يقرأها جميع الأجيال الآتيّة.

٢: ٢٦ كان القديسون قد أرسلوا أبفرودتس في رحلة قطع فيها مسافة لا تقلّ عن ١١٠٠ كلم، وذلك لمساعدة بولس. فمرض المُرسَل الأمين من جرّاء ذلك حتّى إنّه أوشك على الموت. لقد سبّب له هذا انزعاجًا بليغًا، لا لأنّ مرضه وصل إلى هذا الحدّ، بل لخشيته أن يكون القدّيسون قد سمعوا خبر هذا المرض. ففي هذه الحال، سوف يلومون أنفسهم على إرساله في هذه الرحلة الشاقّة، ومن ثم تعريض حياته للخطر. حقًا، إننا نرى في ابفرودتس "قلبًا غير مشغول بذاته".

إنّه لأمر مؤسف جدًّا كون العديد من المسيحيّين قد اعتادوا التركيز أكثر من اللازم على أمراضهم وعلى العمليات الجراحيّة التي أُجريت لهم. وغالبًا ما يكون هذا من مظاهر خطايا حياة الذات الخفيّة: الرثاء الذاتي، والاهتمام بالذات، وحبّ الظهور.

٢: ٢٧ كان أبفرودتس قد مرض قريبًا من الموت، **لكنّ الله رحمه.** إنّ لهذا النصّ قيمة عظيمة في نظرنا، وذلك بسبب ما يسلّطه من أضواء على موضوع الشفاء الإلهي:

١- أوّلاً، وقبل كل شيء، ليس المرض نتيجة للخطية دائمًا. فنحن هنا أمام رجل مرض من جرّاء قيامه بمسئولياته بكلّ أمانة (راجع ع ٣٠). «...**لأنّه من أجل عمل المسيح قارب الموت**».

٢- ثانيًا، إنّ إرادة الله ليست دائمًا أن يشفي فورًا وبشكل معجزي. إذ إنّ مرض أبفرودتس قد طال، على ما يبدو، وإنّ تماثله للشفاء قد حصل تدريجيًّا (راجع أيضًا ٢تيموثاوس ٤: ٢٠؛ ٣يوحنا ٢).

٣- ثالثًا، نتعلّم أنّ الشفاء هو عمل رحمة إلهي، وليس شيئًا باستطاعتنا مطالبته تعالى به كأنّه حقّ من حقوقنا.

أضاف بولس أنّ الله رحمه هو أيضًا مع أبفرودتس، **لئلاّ يكون له حزن على حزن.** فالرسول كان، في ذلك الوقت، يعاني حزنًا عميقًا من جرّاء حبسه. ولو مات أبفرودتس، لتسبّب له ذلك بحزن إضافي بعد.

٢: ٢٨ والآن، وبعد أن تعافى أبفرودتس، أرسله بولس في طريق العودة إلى بلاده بأوفر سرعة. فالفيلبيون سيفرحون بعودة أخيهم المحبوب إليهم، كما أنّ هذا سيخفّف من حزن بولس.

٢: ٢٩ لا يكفي أن يقبلوا أبفرودتس بفرح، بل عليهم أيضًا أن يكرّموا رجل الله العزيز هذا. إذ إنّه لَشَرف عظيم وامتياز رفيع أن ينخرط أحدنا في خدمة الربّ. لذا وجب على القدّيسين أن يعوا ذلك، حتى ولو كان الأمر يتعلّق بشخص هو مألوف جدًّا لديهم.

٢: ٣٠ كما ذكرنا، فقد كان لمرض أبفرودتس علاقة مباشرة بخدمته للمسيح التي لم تكن لتعرف الكلل أو الملل. وهذا الأمر عظيم جدًّا في نظر الله، فأن نخرق ونُنفق في سبيل المسيح، لهو أفضل بكثير من أن يعلونا الصدأ. كما أنّه من الأفضل أن نموت في خدمة المسيح ولا نُحتسب مجرّد رقم ضمن جدول يحصي أولئك الذين يموتون من جرّاء مرض أو حادث.

هل العبارة «لكي يجبر نقصان خدمتهم لي» توحي أن الفيلبيين كانوا قد أهملوا بولس الأمر الذي اضطرّ أبفرودتس على فعل ما كان ينبغي لهم فعله؟ من غير المحتمل أن يكون ذلك، إذ إنّ القديسين في فيلبي هم الذين بادروا في بدايّة الأمر إلى إرسال أبفرودتس إلى بولس.

نحن نرى أن نقصان خدمتهم يشير هنا إلى عدم تمكّنهم من زيارة بولس شخصيًّا ومساعدته بشكل مباشر، وذلك بسبب بعدهم عن روما. والرسول، عوضًا عن توبيخهم، يكتفي بالتصريح هنا بأنّ أبفرودتس تمّم، بصفته ممثّلاً عنهم، ما عجزوا عن تتميمه هم شخصيًّا.

٥. تحذير من المعلّمين الكذبة (٣: ١-٣)

٣: ١ إنّ العبارة أخيرًا يا إخوتي، لا تعني أنّ بولس كان على وشك اختتام رسالته. إنّما تعني بالحرف الواحد: "أمّا بالنسبة إلى ما تبقى..." وهذه العبارة عينها وردت أيضًا في ٤: ٨.

إنّه يناشدهم أن يفرحوا بالرب. هذا لأنّه باستطاعة المؤمن المسيحي دائمًا أن يختبر الفرح الحقيقي في الرب، وذلك بمعزل عن ظروفه أو أوضاعه. "إنّ مصدر كل ترنّمه هو فوق، في أعلى مكان في السماء". ولا شيء يستطيع أن يؤثّر في فرحه ما لم يسلخه أوّلاً عن مخلّصه؛ وهذا الأمر لن يحصل لأنّه ضربٌ من المستحيل. بالمقابل، تتأثّر المسرّات الطبيعيّة بعوامل الألم، والحزن، والمرض، والفقر، والمآسي. لكن الفرح المسيحي يرتفع عاليًّا فوق كل تيّارات الحياة. وخير برهان على ذلك كون بولس يقدّم هذه المناشدة من السجن. وعلينا أن نتقبّل المشورة من رجل نظيره.

إنه لا يشعر بأي انزعاج أو إحراج عندما يكرّر الأمر عينه للفيلبيين، ذلك لعلمه أنّ هذا التكرار إنّما يعمل لخيرهم ولسلامتهم. لكنّه كيف يعيد الكرة لهم؟ هل الإشارة هنا هي إلى العبارة السّابقة حيث يحثّهم على الفرح في الرب؟ أم المقصود هو الأعداد التالية حيث يحذّرهم من جماعة المهوّدين؟ نحن مع الاحتمال الأخير. فالرسول في العدد الثاني، يكرر الفعل «انظروا» ثلاث مرات. وهو بذلك لا يعتبر أنّ هذا التكرار هو أمر ثقيل عليه، بل يرى فيه خير ضمانة لهم.

٣: ٢ عليهم أن ينظروا، أي يحذروا، من الكلاب، ومن فعلة الشر، ومن القطع. من المرجّح أنّ هذه العبارات جميعها تشير إلى المجموعة نفسها من الناس: جماعة من

المعلّمين الكذبة كانوا يسعون إلى جعل المسيحيّين تحت نواميس اليهوديّة، يعلّمون أنّ البرّ يُكتسب من طريق حفظ الناموس والطقوس الدينيّة.

أوّلاً، كانوا **كلابًا**. **فالكلاب** هي حيوانات نجسة، بمفهوم الكتاب المقدس. وكان اليهود قد اعتادوا استخدام هذه الكلمة لوصف الأمم. وفي بلاد الشرق، كانت الكلاب حيوانات سائبة، تجوب الشوارع لالتقاط الطعام. لكن بولس هنا يعكس الآية، إذ ينسب هذه الكلمة إلى المعلّمين الكذبة اليهود الذين كانوا يسعون إلى إفساد الكنيسة. لقد كانوا حقًّا أولئك الذين يقتاتون بالفضلات التي في الخارج، محاولين العيش بمقتضى الطقوس والشعائر الدينية. كانوا "يلتقطون الفتات حين كان باستطاعتهم الجلوس إلى المائدة".

ثانيًا، كانوا **فعلة شرّ**. فعلى أساس ادّعائهم أنّهم مؤمنون حقيقيّون، تمّ قبولهم داخل شركة الجماعات المسيحيّة. وهكذا بات بإمكانهم دس تعاليمهم الكاذبة بين صفوف المؤمنين. إنّ عملهم هذا، لا يمكن أن يُسفر عنه إلاّ كلّ ما هو شرّ.

ثم يدعوهم بولس أيضًا **القطع**. وهذه العبارة التهكميّة استخدمها الرسول لوصف موقفهم من الختان. فهم كانوا، ولا شك، يصرّون على ضرورة أن يختتن الإنسان لنوال الخلاص. لكن مفهومهم للأمر كان يقتصر على فعل الختان بمفهومه الماديّ والجرفيّ، غير آبهين لبُعده الروحيّ. فالختان يرمز إلى الموت عن الجسد. كما أنّه يعني الكفّ عن العمل بموجب متطلبات الطبيعة البشريّة. لكنّهم كانوا يشدّدون على فعل الختان بحدّ ذاته، ويطلقون العنان لشهواتهم في الوقت عينه. لم يكن لديهم أي إقرار قلبي بأن الجسد قد تمّت إماتته في الصليب. لذا جاء بولس يقول فيهم إنّهم كانوا مجرّد قُطّاع للجسد، غير مميّزين بين الطقس كممارسة، وما ينطوي عليه من مغزى.

٣:٣ وبالمفارقة مع هؤلاء، يصرّح بولس **بأنّنا نحن** (أي المؤمنون الحقيقيون) **الختان**، لا الذين صدف لهم أن وُلدوا من والدين يهوديين، أو اختتنوا بالمعنى الحرفي للكلمة، بل أولئك الذين يدركون أنّ الجسد لا ينفع شيئًا، وأنّ الإنسان يعجز بقوّته الشخصيّة عن القيام بأيّ شيء لكسب رضى الله. ثم عرض بولس ثلاث خصائص للذين يشكّلون الختان الحقيقي:

١- أنهم **يعبدون الله بالروح** (أو في الروح). أي أن عبادتهم هي حقًّا روحيّة، لا مجرد ممارسة طقوس معيّنة. ففي العبادة الحقيقيّة، يدخل الإنسان بالإيمان إلى محضر الله، ويسكب أمامه محبّته وحمده، معلنًا خضوعه له. أمّا العبادة الجسديّة، بالمقابل، فتتركّز على المباني الجميلة، وعلى الأثاث الكنسي، وعلى الاحتفالات المنمّقة، وثياب الكهنوت المطرّزة، وعلى أيّ شيء يُثير المشاعر ويحركها.

٢- إن أعضاء فريق الختان الحقيقي **يفتخرون في المسيح يسوع**، فهو وحده محطّ اعتزازهم. إنّهم لا يتباهون بإنجازاتهم الشخصيّة، ولا بخلفيّتهم الثقافيّة، ولا بأمانتهم في حفظ الفرائض الدينيّة.

٣- **إنّهم لا يتّكلون على الجسد**. لا يظنون أنّه باستطاعتهم أن يحصلوا على الخلاص من طريق المجهودات البشريّة أوّلاً، ثم أن يُحفظوا، في ما بعد، بقوتهم الذاتيّة. فهؤلاء لا يتوقّعون أي شيء صالح من طبيعة آدم التي فيهم، لذا لا يخيب أملهم عندما لا يجدون فيها أيّ صلاح.

٦ـ تخلّي بولس عن تراثه وعن إنجازاته الشخصيّة لأجل المسيح (٣: ٤-١٤)

٣: ٤ وفيما كان بولس يتفكّر في هؤلاء القوم الذين كانوا يتفاخرون بمآثرهم وبإنجازاتهم الجسديّة، لا بد من أنّه كان يضحك في نفسه. إن كان باستطاعتهم أن يتباهوا، فهذا الأمر يصحّ عليه هو بالأولى. وهو يُظهر في العددين التاليّين كيف كان يملك، بدرجة عالية، تلك المآثر الطبيعيّة التي هي محطّ افتخار الإنسان عادة. "كان، على ما يبدو، ينتمي إلى كل صنف من الارستقراطية التي تثير الأحلام، وتضرم الأشواق في قلوب الناس".

كتب أرنوت *Arnot* بخصوص هاتين الآيتين:

أمامنا هنا بيانٌ مفصّل بكلّ ما يختزنه الفريسي، صاحب البرّ الذاتي. إنّه يُسرّ بإظهار الخرق البالية، وبإشهارها جهارًا.

ستلاحظ أن بولس يتحدّث هنا عن: التباهي بالأصل وبالجدود (ع٥أ)؛ والتباهي باستقامة الدين (ع ٥ب)؛ والتباهي بالنشاط والعمل (ع٦أ)؛ والتباهي بالآداب والأخلاق (ع٦ب).

٣: ٥ إذًا، لنا في هذا العدد قائمة بالمآثر الجسديّة والطبيعيّة لدى بولس:

مختون في اليوم الثامن: كان يهوديًّا بالولادة، وليس أحد الدخلاء إلى اليهودية.

من جنس إسرائيل: عضو في شعب الله الأرضي المختار قديمًا.

من سبط بنيامين: هذا السبط الذي كان يُعَدّ قائدًا ارستقراطيًّا (قض٥: ١٤)، والذي أعطى الأمّة القديمة مَلِكها الأوّل.

عبراني من العبرانيين: كان ينتمي إلى أفراد تلك الفئة من الأمّة الذين تمسّكوا باللغة وبالعادات والتقاليد كما تسلّموها في الأصل.

من جهة الناموس فريسي: فالفريسيون استمروا أمناء للعقيدة في الوقت الذي فيه تخلّى الصدوقيون عن عقيدة القيامة.

٣: ٦ من جهة الغيرة، مضطهِد للكنيسة: كان بولس يظن، بكل إخلاص، أنّه يخدم الله، عندما حاول أن يمحو "طائفة" المسيحيين من الوجود. لقد رأى في المسيحيّة تهديدًا لديانته الشخصيّة، لذا شعر بضرورة إبادتها والقضاء عليها.

من جهة البرّ الذي في الناموس بلا لوم: لا يعني ذلك أنّ بولس نجح، بشكل كامل، في حفظ الناموس. فهو يعترف في رومية ٧: ٩، ١٠ بأن الأمر ليس كذلك. إنّه يتحدث عن نفسه كمن هو بلا لوم، لا كمن هو بلا خطية. من هنا يبقى استخلاصنا الوحيد أنّه، وبعد نقض بولس لأي جزء من الناموس، كان يحرص على إحضار الذبيحة المفروضة. وبكلمة أخرى، كان مدقّقًا جدًّا في سعيه إلى حفظ الشريعة اليهوديّة بحذافيرها.

إذًا، كان شاول الطرسوسي رجلاً عظيمًا وبارزًا من جهة ولادته، وسلالته، واستقامته الدينيّة، وغيرته، وبرّه الذاتي.

٣: ٧ ولكن الآن يصرّح الرسول بتخليه العظيم عن هذه كلها. إنّه يقدّم لنا "حساب الربح والخسارة" الخاص به. فهو يعرض، في جهة، القائمة المتعلّقة بالبنود المذكورة أعلاه، أو ما كان **ربحًا له**؛ ثم يكتب، في الجهة المقابلة، الكلمة الواحدة «المسيح». هذا لأن لا قيمة لها جميعها لدى مقارنتها بالكنز الذي حصل عليه في المسيح. **لقد**

حسبها من أجل المسيح خسارة. قال جي كنج *Guy King* في هذا المجال: "كلّ ربح مالي، وكلّ ربح مادي، وكلّ ربح جسدي، وكلّ ربح ثقافي، وكلّ ربح أدبي، وكلّ ربح ديني، هذه جميعها ليست ربحًا على الإطلاق، مقارنة مع الربح العظيم (ربح المسيح)».

لم يكن باستطاعة الرسول أن ينال الخلاص، عندما كان يتّكل على هذه الأمور. كذلك لم تعد هذه الأمور، عندما حصل على الخلاص، تعني أي شيء بالنسبة إليه، إذ إنّه رأى مجد الرب، حتى إنّ سائر الأمجاد الأخرى بانت كلا شيء إذا ما قورنت به.

٣: ٨ بولس، في مجيئه إلى المسيح لأجل نوال الخلاص، تخلّى عن **كل الأشياء**، بل حسبها من دون أيّة قيمة بالمقارنة مع **فضل معرفة يسوع المسيح** ربّه. «**وفضل المعرفة**» هنا تعبّر، على الطريقة العبرانيّة، عن المعرفة الفائقة، أو عن القيمة الفائقة لهذه المعرفة.

الحسب والنّسب، الجنسيّة، والثقافة، والشهرة، والدين، والإنجازات الشخصيّة: هذه جميعها تخلّى عنها الرسول كمواد للافتخار. وفي الحقيقة، لقد حسبها **نفاية** أو قمامة حتى يتسنّى له أن **يربح المسيح**.

ينظر بولس هنا إلى الوراء، وبالتحديد إلى زمن اهتدائه، مع أن هذا العدد والعدد التالي وردا في صيغة الحاضر. كان يحتاج، لكي يربح المسيح، إلى أن يدير ظهره لتلك الأمور التي طالما تعلّم أن يثمّنها جدًّا ويقدّرها حقّ تقدير. فإن كان يبغي أن يحظى بالمسيح، كان يحتاج لأن يقول "وداعًا" لديانة أمّه، ولتراث أبيه، ولإنجازاته الشخصيّة.

وهذا ما فعله بالتّمام. لقد قطع بالكلية كلّ ما كان يربطه بالديانة اليهودية كرجاء للخلاص. ونتيجة لموقفه هذا، رفضه أقرباؤه، وتنكّر له أصدقاؤه القدامى، واضطهده بنو قومه. إذًا، بالمعنى الحرفي، لقد **خسر كلّ الأشياء** عندما أصبح مسيحيًّا بالحق.

بما أنّ العدد الثامن ورد في صيغة الحاضر، يبدو أنّ بولس كان ما يزال يطلب أن **يربح المسيح**. وفي الواقع، كان قد ربح المسيح أوّل ما اعترف به ربًّا له ومخلّصًا. لكن صيغة الحاضر هنا تشير إلى أنّه ما يزال يراعي هذا الموقف عينه: إنّه ما يزال يحسب كل شيء آخر نفاية لدى مقارنته بقيمة معرفة الرب يسوع. كان شوق قلبه العارم: "ليكون المسيح ربحي". لا الذهب، ولا الفضة، ولا الشهرة الدينية، بل المسيح.

٣: ٩ وأوجَد فيه. وهنا أيضًا، يبدو أنّ بولس ما يزال يحاول أن يوجَد في المسيح. لكنّه في الواقع يعود إلى الوراء، إلى ذلك القرار الحاسم الذي كان يحتاج أن يواجهه قبل حصوله على الخلاص. هل كان على استعداد أن يتخلّى عن مجهوداته الذاتيّة لكسب الخلاص، لكي يكتفي بمجرد الوثوق بالمسيح؟ لقد اتّخذ قراره. وهكذا تخلّى عن كل شيء آخر لكي يوجد في المسيح. فأصبح في مقام جديد أمام الله، في اللحظة التي فيها آمن بالرب يسوع. لم يعد يُرى كولد من أولاد آدم الخاطي، بل أصبح يُرى **في المسيح**، وصار ينعم بكل ما ينعم به الرب يسوع من قبولٍ ورضى أمام الله الآب.

كذلك تخلّى عن الخرق البالية التابعة لبرّه الذاتي الذي كان قد حاول اكتسابه من طريق حفظ الناموس، واختار برّ الله الذي يُمنح لكل من يقبل المخلّص. لقد رُسم البرّ في هذا العدد على شكل رداء أو غطاء. فالإنسان هو في حاجة إلى برّ حتى ينال رضى الله.

لكن ليس باستطاعة الإنسان إنتاج هذا البرّ. لذا يمنح الله بالنعمة برّه الخاص لكلّ من يقبل ابنه ربًّا ومخلّصًا. «لأنّه (الله) جعل الذي لم يعرف خطيّة (المسيح)، خطيّة لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه» (٢كو٥: ٢١).

نودّ من جديد أن نشدّد على أنّ العددين الثامن والتاسع لا يوحيان أنّ بولس لم يكن قد حصل بعد على بر الله. بل نقيض ذلك هو الصحيح، لأنّ هذا البر أصبح ملكه لدى تجديده على طريق دمشق. لكن صيغة الحاضر تشير ببساطة إلى أنّ نتائج هذا الحدث العظيم استمرّت إلى الحاضر، وإلى أنّ بولس كان ما يزال يعتبر أنّ قيمة المسيح تفوق بكثير كلّ ما كان قد تخلّى عنه.

٣: ١٠ عندما نقرأ هذا العدد، نأتي إلى أسمى شعور في حياة الرسول. وهذا الشعور دعاه ف.ب. ماير *F.B. Meyer* "التماس النفس للمسيح الشخصي".

غالبًا ما ينحو البعض إلى «روحنة» هذا النص، فلا يُنظر إلى **الآلام والموت والقيامة** بمعناها الحرفي، بل كعبارات تصف بعض الاختبارات الروحيّة من صنف الألم النفسي، والموت عن الذات، والعيش في حياة القيامة، الخ. لكنّنا نحن نميل إلى الاعتقاد بضرورة أخذ هذا النص بمعناه الحرفي. فبولس يقول هنا أنّه يرغب في أن يعيش كما عاش المسيح. فهل تألّم يسوع؟ إذًا، يرغب بولس أن يتألّم أيضًا. وهل مات يسوع؟ لذا، يرغب بولس في الموت كشهيد في معرض خدمته للمسيح. وهل قام يسوع من بين الأموات؟ إذًا، يبغي بولس اختبار هذا الأمر عينه. لقد أدرك أن العبد ليس أفضل من سيّده. من هنا رغب أن يتّبع المسيح في مراحل **آلامه، وموته، وقيامته**. وهو لا يذكر أنّه ينبغي للجميع تبنّي هذا الرأي، لكن بالنسبة إليه شخصيًّا لم يكن ثمّة أي سبيل آخر.

لأعرفه. إنّ التعرّف بالربّ تعني هنا اكتساب معرفة اختباريّة له يومًا فيومًا بشكل حميم، الأمر الذي يجعل الرسول يصير أكثر فأكثر على شبه المسيح. إنّه يرغب في أن تبرز حياة المسيح وتظهر فيه شخصيًّا.

وقوّة قيامته. إنّ القوة التي أقامت الربّ من الأموات، يصوّرها الكتاب المقدّس كأعظم تعبير عن القدرة والجبروت شهده الكون أجمع (أف١: ١٩، ٢٠). يبدو أنّ كلّ قوّات الشرّ قرّرت إبقاء جسد الرب في القبر. لكن قوّة الله الجبارة هزمت هذا الجيش الجهنمي، بإقامة الرب يسوع من الأموات في اليوم الثالث. وهذه **القوّة** عينها، وُضعت تحت تصرف المؤمنين جميعهم (أف١: ١٩)، للحصول عليها بالإيمان. وبولس يعبّر هنا عن شوقه وطموحه إلى اختبار هذه القوّة في حياته وشهادته.

وشركة آلامه. إنّ التألم لأجل المسيح يحتاج إلى قوّة إلهيّة. لذا جُعلت **قوة قيامته** قبل **شركة آلامه**.

في حياة الرب، كان ينبغي أنّ التألّم يسبق المجد. لذا، وجب أن يصح هذا في حياة بولس أيضًا. فهو يحتاج أن يشارك في آلام المسيح. لقد أدرك أنّه لن يكون لآلامه أية قيمة كفاريّة كما هي الحال بالنسبة إلى آلام المسيح، لكنه علم أيضًا أنّه لن يكون منسجمًا مع نفسه إن كان سيعيش في البذخ والرفاهية في العالم حيث رُفض ربه، وجُلد، وصُلب. يعلّق جويت *Jowett* على هذا بالقول: "لم يكن ليكتفي بالمشاركة في نصرة جبل الزيتون؛ بل كان يريد أن يختبر شيئًا من وخز بستان جثسيماني وقشعريرته ووحشته".

متشبّهًا بموته. هذه العبارة، كما أسلفنا، غالبًا ما تفسّر بمعنى أنّ بولس كان يطالب أن يعيش الحياة المصلوبة، فيموت عمليًّا عن الخطيّة، والذات، والعالم. لكنّنا نشعر بأنّ هذا التفسير يُفقد هذا النص وقعه الذي يهز الكيان. فالنص، بالإضافة إلى هذا المعنى، يعني أمورًا كثيرة. لقد كان بولس واحدًا من الأتباع المكرّسين بشغف للربّ الذي مات على صليب الجلجثة. وليس هذا فحسب، بل كان حاضرًا أيضًا خلال موت أوّل شهيد في الكنيسة المسيحية. لقد شارك، في الواقع، في ارتكاب هذه الجريمة. وفي اعتقادنا أن بولس كان حريصًا على سكب حياته في الطريقة عينها. ولعلّه كان سيشعر بشيء من الإحراج في السماء لدى مقابلته استفانوس، إذا وصل بأية طريقة أخرى غير الاستشهاد. وهذه الفكرة عبّر عنها جويت *Jowett* بهذه الكلمات:

> كثيرون هم المسيحيون الذين يرضون بالإنفاق الذي يخلو من أي "سفك دم". إنّهم على استعداد للتضحية بما يسهل عليهم الاستغناء عنه. فهباتهم منفصلة، والتنازل عنها لا يتطلب أي نزيف. يعطون ويبذلون ما دام الأمر لا يعرّض الحياة للخطر، لكنّهم يخافون ولا يوجدون عندما يلزم تقديم ما هو حيوي حقًّا. تراهم يتقدّمون مواكب الانتصار جميعها، وبنفس راغبة ينفقون بعض المال على ضروب من الزينة الملوّنة والمثيرة، على الرّايات وعلى أغصان النخيل؛ لكنّ عندما تتغير صيحات الظفر والإطراء وتتحول إلى همهمة وإلى همسات مرعبة وتهديدات، وتبرز الجلجثة في الأفق، إذا بهم ينسلّون مدبرين للاعتزال في أماكن آمنة.
>
> لكن، أمامنا هنا رسول يستبق بفرح هذا الاستحقاق السامي والدقيق. يبدو كأنّه نفد صبره في حماسته لبذل دمائه قطرة قطرة في خدمة الملكوت. إنّه مملوء شوقًا وغيرة لسكب دمه، إذا اقتضى الأمر.

وبهذه الروح عينها، كتب هدسون تايلور *Hudson Taylor* أيضًا:

> ثمة ضرورة موضوعة علينا بأن نبذل نفوسنا لأجل حياة العالم... هذا لأن حمل الثمر يتطلّب حمل الصليب: «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها». ونحن نعلم كيف أصبح الرب يسوع مثمرًا: لا بحمل الصليب فحسب، بل بالموت عليه أيضًا. هل نعرف الكثير عن الشركة معه في هذا المجال؟ ليس ثمة مسيحان: مسيح عاش الحياة السهلة لمسيحيّين يحبّون الحياة السهلة، ومسيح متألّم ومجاهد للمؤمنين الخارقين والاستثنائيين؛ وإنّما ثمة مسيح واحد فقط. هل نحن على استعداد أن نثبت فيه لكي نأتي بثمر؟

أخيرًا، يقول كوتس *C.A. Coates*:

> كانت الشهوة السامية في قلب بولس أن يعرف المسيح في المجد. وهذه الشهوة المقدّسة كان لا بدّ من أن تولّد فيه شوقًا عارمًا إلى حيث الربّ موجود. لذا، فإنّ القلب الذي يتوق إلى الربّ، يميل بالفطرة إلى الدرب الذي سلكه الربّ للوصول إلى ذلك المكان في المجد؛ ويرغب، بكل جديّة، في بلوغ الربّ هناك، سالكًا الدرب نفسه الذي سار فيه الربّ. ويسأل القلب: "كيف وصل الربّ إلى ذلك المجد؟ هل حصل عليه من طريق القيامة؟ والآلام والموت، ألم تسبق بالضرورة القيامة؟". ثم يقول القلب: "لا شيء يسرني أكثر من البلوغ إلى الربّ في مجد القيامة من خلال سلوك الدرب نفسه الذي أدّى به إلى هناك". إنّه

روح الاستشهاد. كان بولس يريد السير كشهيد في طريق الألم والموت، حتى يتسنّى له بلوغ القيامة والمجد من خلال ذلك الدرب نفسه الذي كان قد سلكه الربّ المبارك الذي أسر قلبه.

٣: ١١ هنا أيضًا تواجهنا مشكلة تفسير. فهل نفهم هذا العدد بمعناه الحرفي، أم "نروحنه"؟ لقد عُرضت عدة شروحات له، ونحن نكتفي بذكر أبرزها:

١- لم يكن بولس متأكّدًا من أنّه سيحظى بنصيب في القيامة من بين الأموات. لذا كان يبذل كل مجهود لتأمين اشتراكه في القيامة. لكن هذا الرأي مستحيل. ذلك لأن بولس علم باستمرار أن القيامة هي بالنعمة، لا على أساس الأعمال البشريّة. كما أنه عبّر عن ثقته الراسخة بأنّه سيشترك حتمًا في القيامة (٢كو٥: ١-٨).

٢- لم يكن بولس يتحدث عن قيامة جسدية، بل كان يشير إلى رغبته في العيش في حياة القيامة خلال مكوثه هنا على الأرض. ولعل هذا الرأي هو الذي يُجمع عليه معظم المفسرين.

٣- كان بولس يتحدث عن القيامة الجسدية، لكنّه لم يكن يعبّر عن أيّ شكّ في مشاركته فيها. كان بالحري يقول إنّه لا تهمّه الآلام التي قد تعترضه في طريقه إلى القيامة. لقد كان على استعداد أن يكابد أعنف التجارب والاضطهادات، إن كان لابد منها خلال الفترة التي تفصل بين الزمان الحاضر والقيامة. فالكلمة «**لعلي**»، مَثَلُها مثل "عسى" لا تفيد بالضرورة معنى الشكّ (راجع أع٢٧: ١٢؛ رو١: ١٠؛ ١١: ١٤)، بل الرغبة الشديدة أو التوقّع الذي لا يحتسب لشيء.

نحن نوافق على التفسير الثالث. فالرسول كان يريد أن يكون مشابهًا للمسيح. وبما أنّ المسيح كان قد تألم، ومات وقام من بين الأموات، فإنّ بولس لم يكن يريد لنفسه ما هو أفضل من هذا. نخشى أن يكون ميلنا الشخصي إلى الحياة المريحة والمترفّهة والسهلة هو الذي يدفعنا إلى نزع الأطراف الحادة والقاطعة عن بعض هذه الآيات الكتابية. ألا يكون من الأسلم أن نفهمها بمعناها الحرفي، إلاّ إذا بان هذا المعنى مستحيلاً في ضوء بقية الكتاب المقدس؟ قبل ترك هذا العدد، ينبغي لنا ملاحظة أنّ بولس يتحدّث هنا عن **القيامة من بين الأموات**. فهذه القيامة لا تشمل الأموات جميعهم. لكن الكلام هو عن **قيامة** لبعضهم، فيما يبقى الآخرون في القبور. ونحن نعلم من ١تسالونيكي ٤: ١٣-١٨ و١كورنثوس ١٥: ٥١-٥٧ أنّ المؤمنين سيُقامون لدى مجيء المسيح (بعضهم عند الاختطاف، وآخرون في نهاية الضيقة العظيمة)، لكنّ بقيّة الموتى لن يقوموا إلاّ بعد مُلك المسيح الذي سيدوم ألف سنة على الأرض؛ (قارن رؤ٢٠: ٥).

٣: ١٢ لا يعتبر الرسول أنّه قد **صار كاملاً**. ومفهوم الكمال هنا، لا علاقة له بالقيامة المذكورة في العدد السابق، بل بموضوع التشبّه بالمسيح. لم تخطر على بال الرسول أيّة فكرة مفادها أنّه من الممكن بلوغ حالة من اللاخطيّة، أو الوصول إلى وضع في هذه الحياة حيث لا يعود من المستطاع إحراز أي تقدم إضافي بعد. لقد أدرك أن "الاكتفاء هو مقبرة التقدّم".

لذا كان يسعى في سبيل تتميم القصد الذي من أجله خلّصه الرب يسوع. فالربّ يسوع كان قد أدرك الرسول وهو في طريقه إلى دمشق. ما القصد من

هذا اللقاء الخطير؟ كان القصد منه أن يصبح بولس، منذ ذلك الوقت فصاعدًا، قدّيسًا ومثالاً، يُظهِر الله من خلاله ما باستطاعة المسيح القيام به في حياة الإنسان. لم يكن بعد قد أصبح مشابهًا للمسيح بشكل كامل. كانت هذه العملية ما تزال مستمرة في حياته، كما أنّ بولس كان حريصًا جدًّا على أن يستمر في حياته عمل نعمة الله هذا، وأن يتعمّق أيضًا ويتوطّد.

٣: ١٣ هذا الرجل الذي كان قد تعلّم أن يكون مكتفيًا بما لديه من أشياء مادية (٤: ١١)، لم يكن البتّة ليقنع بأيّة إنجازات روحيّة حقّقها. **فهو لم يحسب** نفسه أنّه "وصل" كما نقول في أيّامنا الحاضرة. لكنّه ماذا فعل بعد هذا؟

ولكنّي أفعل شيئًا واحدًا. كان رجلاً صاحب مقصد واحد. كان له هدف واحد وطموح واحد. إنّه في هذا يشبه داود الذي قال: «واحدة سألت من الربّ».

إذ أنا أنسى ما هو وراء، هي عبارة لا تشير إلى خطاياه وإلى سقطاته فحسب، بل أيضًا إلى امتيازاته الطبيعيّة، وإنجازاته، ونجاحاته التي كان قد وصفها في مطلع هذا الفصل، بل إلى انتصاراته الروحيّة أيضًا.

وامتدّ إلى ما هو قدّام. أي امتيازات الحياة المسيحية ومسئولياتها من جهة العبادة والخدمة والنمو الشخصي للخلق المسيحي.

٣: ١٤ كان بولس يرى نفسه كأنه عدّاء في سباق، ويبذل قصارى جهده في سعيه نحو **الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.**

أن **الغرض** هو خط الوصول في نهاية حلبة السباق؛ أمّا الجعالة، فهي المكافأة التي تُعطى للفائز. وهنا **الغرض** قد يشير إلى نهاية سباق الحياة، وربّما، بأكثر تحديد، إلى كرسي المسيح حيث يقدّم المؤمنون حسابًا عن أنفسهم. كما أنّ **الجعالة** ستكون إكليل البر الذي يذكر بولس بشأنه في مكان آخر أنه سيكون من نصيب الذين يُكملون الشوط (٢تي٤: ٨).

إنّ دعوة الله العليا في المسيح تشتمل على جميع المقاصد التي كانت في فكر الله من جهة خلاصنا. إنّها تشمل الخلاص، والمشابهة بالمسيح، والتمتّع بالميراث معه، والتوطن في السماء، بالإضافة إلى بركات روحيّة أخرى لا تُعدّ ولا تُحصى.

٧. مناشدة لسيرة سماوية متمثّلة بالرسول (٣: ١٥-٢١)

٣: ١٥ ينبغي لجميع الكاملين أن يشاطروا بولس استعداده للتألّم والموت في سبيل المسيح، ويبذلوا كل مجهود في سعيهم إلى التشبّه بالرب يسوع. هذه هي النظرة الناضجة إلى الإيمان المسيحي. قد يرى بعضهم أنّها متطرّفة أو متعصّبة. لكنّ الرسول يصرّح بأنّ الناضجين تمامًا سيرون هذا الموقف يشكّل التجاوب السليم والعقلي والمنطقي الوحيد مع الرب الذي بذل حياته ودمه لأجلهم في الجلجثة.

وإن افتكرتم شيئًا بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضًا. يدرك بولس أنّ ليس الجميع يتفقون معه على تبنّي فلسفة حياة خطرة كهذه. لكنّه يعبّر عن ثقته بأنّه إن كان أحد الأشخاص يرغب حقًّا في معرفة حقيقة الأمر، **فسيعلن له الله** ذلك. والسبب الكامن وراء مسيحيّتنا الحاضرة التي تحب الراحة وتكتفي بما هي عليه هو أنّنا لا نريد أن نعرف الحقّ؛ فنحن غير مستعدّين لأن نطيع ونلبي مطالب الحياة المسيحيّة المثاليّة. فالله يريد أن يظهر الحق لأولئك الذين هم على استعداد لاتّباعه وإطاعته.

٣: ١٦ ثم يضيف الرسول إنّنا نحتاج الآن أن نعيش على مستوى النور الذي منحنا إيّاه الرب. فلا منفعة من انتظار الوقت لكي نحصل على المعرفة الأوفى لما يُطلب منّا نحن المؤمنين. لكن إذ نتوقّع من الربّ أن يعلن لنا كلّ ما ينطوي عليه الصليب بالنسبة إلينا، ينبغي لنا إطاعة ما نحصل عليه من حقّ.

٣: ١٧ والآن ينتقل بولس إلى المناشدة، أوّلاً بحثّه الفيلبيين على اتّباعه أو التمثّل به. وكونه تمكن من كتابة هذه الكلمات، هو أمر أهل للثناء والتقدير. فغالبًا ما نسمع العبارة بشكل مزاح: "أعمل بأقوالي ودَع أفعالي". لكن ليس هذا ما فعله الرسول. بل لقد كان باستطاعته أن يرفع حياته عاليًا ويعرضها كمثال على التكريس القلبي الكامل للمسيح ولقضيته.

يعلق لهمان شتراوس *Lehmann Strauss* على هذا بالقول:

> كان بولس يعتبر أنّه حصل على رحمة الله، حتى يتسنّى له أن يكون "مثالاً"؛ لذا كانت حياته بجملتها، بعد اهتدائه، مكرّسة لتكون للآخرين صورة بيانيّة عما يجب أن يكون عليه المسيحي. فالله خلّص بولس حتى يُظهِر، بواسطة مثال اهتداءه هذا، ما باستطاعة المسيح فعله لأجل الآخرين. أليس هذا أيضًا الغرض الخاص الذي جعل ربّنا يتعامل معك ومعي بالرحمة؟ أعتقد أنّه خلّصنا لكي نصلح كمثال لجميع الذين سيؤمنون في المستقبل. فهل نعيش حقًا كأمثلة على الذين اختبروا الخلاص بنعمة الرب؟ ليت هذا الأمر يصحّ علينا أيضًا!

ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة. والإشارة هنا هي إلى أولئك الذين عاشوا حياة شبيهة بحياة بولس. فالرسول لا يتحدث عنهم لائمًا، كما في العدد التالي، بل يدعو إلى مراقبة سيرتهم بهدف اتّباع خطواتهم.

٣: ١٨ كما أنّ العدد السابع عشر يصف القوم الذين يليق بالمؤمنين أن يقتدوا بهم، فإنّ هذا العدد يصف أولئك الذين ينبغي لنا عدم التمثل بهم. لكن الرسول لا يحدد هويتهم. إنّه لا يذكر أي شيء عنهم ولا نعرف هل كانوا من المعلّمين الكذبة المهوّدين المذكورين في العدد الثاني، أو من المعلّمين المسيحيّين الذين حوّلوا الحرية إلى إباحيّة، واستخدموا النعمة كذريعة للخطيّة.

كان الرسول قد حذّر القدّيسين من هؤلاء القوم، وهو يكرّر هذا **باكيًا** الآن. لكن لماذا الدموع في وسط هذا التوبيخ الصارم؟ ذلك بسبب ما ألحقه هؤلاء القوم من أذى بكنائس الله، وعلى من تسبب هؤلاء بتحطيم حياتهم، وبسبب العار الذي جلبوه على اسم المسيح، ولأنّهم حجبوا المعنى الحقيقي للصليب. أجل، بل أيضًا **لأنّ المحبّة تبكي حتى في توبيخها أعداء صليب المسيح، تمامًا** كما بكى الرب يسوع على أورشليم، المدينة القاتلة.

٣: ١٩ كان مصير هؤلاء القوم الهلاك الأبدي. وهذا لا يعني الاندثار والفناء، بل مكابدة دينونة الله في بحيرة النار إلى الأبد.

كان **إلههم بطنهم**. فكل نشاطاتهم، بما في ذلك ما يدعونه من خدمة دينية، كانت موجهة لابتياع الطعام (وربّما الشراب أيضًا) بقصد إشباع شهيتهم الجسدية. لقد وصف ف.ب.ماير *F. B. Meyer* هؤلاء الأشخاص بتبصّر عندما قال فيهم: "إنّ حياتهم هي خاليّة من أيّة قاعة للعبادة، إنّها بجملتها مطبخ".

مجدهم في خزيهم. كانوا يفتخرون بالأمور عينها

التي كان ينبغي لهم أن يخجلوا بها كعريهم وسلوكهم اللاأخلاقي.

كانوا منشغلين **بالأرضيات**. فالأمور الهامة في الحياة كانت في نظرهم الطعام، والثياب، والكرامة، والرفاهية، والملذات. لم تكن المسائل الأبديّة والأمور السماويّة لتزعجهم في تعفّرهم بتراب هذا العالم. كانوا يعيشون وكأنّهم سيخلّدون هنا على الأرض.

٣: ٢٠ والآن يعرض الرسول، المقابل، موقف المؤمن الحقيقي الذي يفكّر في الأمور السماويّة.

في زمن كتابة الرسالة، كانت فيلبي مستعمرة تابعة لروما (أع١٦: ١٢). وكان الفيلبيون مواطنين رومانيّين، ينعمون بحماية روما وبامتيازاتها. لكنهم كانوا أيضًا مواطنين في حكومتهم المحليّة. وفي ضوء هذه الخلفيّة، جاء الرسول يذكّر المؤمنين بأنّ **سيرتهم هي في السماوات**. أورد موفات *Moffat* في ترجمته ما يلي: "لكنّنا مستعمرة تابعة للسماء".

هذا لا يعني أنّ المسيحيين ليسوا **أيضًا** مواطنين في بلادهم الأرضيّة. فنصوص كتابيّة أخرى تعلّم بوضوح ضرورة أن نخضع للسلاطين وللحكومات لأنّها مرتّبة من الله (رو١٣: ١-٧). وحقًا، ينبغي للمؤمنين إطاعة الحكومة في جميع المسائل التي لا ينهى عنها الربّ بشكل واضح. وهكذا كان على الفيلبيين تقديم ولائهم للحكام المحليين، كما أيضًا للإمبراطور في روما. إذًا، كان لدى المؤمنين مسئوليات تجاه الحكومات الأرضيّة، ولكن ولاءهم الأول كان للرب في السماء.

نحن لسنا مواطنين سماويين فحسب، لكننا **ننتظر أيضًا المخلّص** من السماء. وفعل الانتظار هذا يعبّر في الأصل، عن توقّع صادق وجدّي لشيء يُعتقد أنّه وشيك. وهو يعني حرفيًّا مدّ الرأس والعنق إلى الأمام، وكأنّ المرء يتوقّع بشغف أن يسمع أو يرى شيئًا ما.

٣: ٢١ عندما يأتي الرب يسوع من السماء، فسوف يغيّر أجسادنا هذه. ليس ثمّة أي شيء دنيء أو شرير في ما يتعلّق بالجسد البشري بحدّ ذاته، بل إنّ الشر يكمن في إساءة استخدامه.

لكنّه **جسد تواضعنا**، أو جسد ذليل. إنّه معرّض للتجاعيد، والندوب، والشيخوخة، والألم، والمرض، والموت. إنّه يحدّ نشاطنا ويعوقنا.

الرب سيغيّره ليكون جسدًا ممجّدًا. ونحن لا نعرف هذا بمعناه الكامل. فهو لن يعود عرضة للفساد أو الموت، ولا لحدود الزمن أو الحواجز الطبيعية. وهكذا سيكون جسدًا حقيقيًّا، ومناسبًا بالتمام، في الوقت عينه، لظروف السماء. سوف يكون شبيهًا **بجسد** الرب يسوع عند قيامته.

وهذا لا يعني أنّه سيكون لنا جميعًا المظهر الخارجي عينه. ذلك لأنّ يسوع عُرف بشكل مميّز بعد قيامته؛ وممّا لا شكّ فيه أنّه سيكون لكلّ منّا هويّته الفرديّة الخاصّة به في الأبديّة.

كذلك، لا يعلّم هذا النص أنّنا سنشابه الربّ يسوع في ما يتعلق بسجايا الله. نحن لن نتمتّع في أيّ وقت من الأوقات بالمعرفة الكليّة أو بالقدرة المطلقة؛ كما أنّنا لن نكون موجودين في كل الأماكن في الوقت عينه.

لكنّنا سنكون مثل الربّ يسوع من الناحية الأدبيّة. سنكون إلى الأبد أحرارًا من الخطية. إنّ هذا النص لا يعطينا ما يكفي لإشباع فضوليتنا، لكنّه يكفي

لتوليد التعزية وبعث الرجاء في دواخلنا.

بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء. إن تغيير أجسادنا، ستتمّمه القوّة الإلهيّة نفسها التي سيستخدمها الربّ فيما بعد **في إخضاعه كل شيء لنفسه.** فهو «قادر أن يخلّص» (عب٧: ٢٥). «ويقدر أن يعين» (عب٢: ١٨). كما أنّه «القادر أن يحفظ» (يه٢٤). وفي هذا العدد، نتعلّم أنّه **يستطيع أن يُخضع.** «لأنّ الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت» (مز ٤٨: ١٤).

٨. دعوة إلى حياة الوفاق، والمساعدة المتبادلة، والفرح، والاحتمال، والصلاة وضبط الفكر (٤: ١-٩)

٤: ١ الآن يناشد الرسول المؤمنين أن يثبتوا **في الرب،** وذلك على أساس الرجاء المبارك الذي جعله نصب أعينهم في العدد السّابق. من جهة أخرى، يزخر هذا العدد بالأسماء التي تعبّر عن حب بولس للمؤمنين. فهو يدعوهم، قبل كلّ شيء، **إخوته.** وليس إخوته فحسب، بل **إخوته الأحباء.** ثم يضيف فكرة أنّه **يشتاق إليهم،** أي أنّه مشتاق أن يكون معهم من جديد. بالإضافة إلى ذلك، يتحدث عنهم بصفتهم **سروره وإكليله.** فهو، ولا شكّ، يقصد بذلك أنّهم فرحه في الوقت الحاضر، كما أنّهم سيكونون إكليله أمام كرسي المسيح. وأخيرًا، يختتم هذه الآية بالعبارة **«أيها الأحباء».** كان الرسول حقًّا يحب الناس، وهنا يكمن، ولا شكّ، أحد أسرار عمله المؤثر للربّ.

٤: ٢ كانت **أفودية وسنتيخي** امرأتين في الكنيسة التي في فيلبي، إحداهما على خلاف مع الأخرى. غير أنّ الرسول لا يوضح لنا سبب هذا الخلاف.

يستخدم الرسول بولس فعل **الطلب** مرتين، لإظهار أنّه يوجّه هذه المناشدة إلى كل منهما على السواء. كما أنّه يحثّهما على أن **تفتكرا فكرًا واحدًا في الربّ.** وإذ يستحيل علينا التوافق الكلي في ما يتعلّق بالحياة اليوميّة، يبقى ممكنًا بالنسبة إلى أمور الرب أن نتخطى فوارقنا الشخصيّة التافهة لكي يتعظّم الربّ ويتقدّم عمله ويزدهر.

٤: ٣ ثمة تخمينات كثيرة بشأن هويّة **الشريك المخلص** (أو الزميل في حمل النير) الذي يخاطبه بولس في هذا العدد. لقد تمّ اقتراح اسمي تيموثاوس ولوقا، لكن يُرجح أنّ أبفرودتس هو المقصود هنا. إنّه مدعو إلى **مساعدة** هاتين اللتين **جاهدتا** مع بولس **في الإنجيل.**

نعتقد أنّ الرسول يتحدث هنا عن أفودية وسنتيخي، وهو يعرض ما أثبت الاختبار أنّه مشورة سديدة. هذا لأنّه متى تنازع شخصان، فغالبًا ما يكون الحل الأنسب لفض هذا النزاع من طريق الاستعانة بشخص ثالث مستقل ومتجرد: شخص ناضج، ويحكم روحيًّا على الأمور. فلا يتصرف بشكل اعتباطي ليخرج بقرار، بل يتمكن بالاعتماد على كلمة الله، من إعطاء فريقي النزاع حلاً كتابيًا لمعضلتهما.

يجب اتخاذ جانب الحذر في تفسير العبارة **«اللتين جاهدتا معي في الإنجيل».** لسنا في حاجة إلى خيال خصب لإدراك أنّ المعنى هو أنّهما كرزتا بالإنجيل مع الرسول بولس. ثمة طرائق عديدة باستطاعة الأخوات اعتمادها في جهادهنّ في الإنجيل: من خلال استضافة خدّام المسيح، وزيارة البيوت، وتعليم النساء الحدثات والأولاد، من دون القيام بأيّة خدمة تعليم أو وعظ جهاريّة.

يذكر الرسول أيضًا **أكليمندس،** بصفته قد عمل

أيضًا معه. ولا شيء آخر نعرفه عنه تمام المعرفة. من ثمّ يتحدّث الرسول أيضًا عن **باقي العاملين معه، الذين أسماؤهم في سفر الحياة**. وهذا أسلوب لطيف ومحبّب للتعبير عن السعادة الأبديّة التي لا يعبر عنها، والتي ترتبط بالإيمان بالمسيح وخدمته.

٤: ٤ يتوجّه الرسول الآن إلى الكنيسة بجملتها، لكي يكرّر لها المناشدة المفضّلة لديه. إنّ السرّ وراء هذه المناشدة يكمن في العبارة «**في الربّ**». ومهما أظلمت ظروف الحياة، يبقى باستطاعة المؤمن أن **يفرح في الرب**.

وها هو جويت *Jowett* يشاركنا في اختباره بشأن الفرح المسيحي:

إنّ الفرح المسيحي هو ظاهرة منفصلة عن ظروفنا الآنية. فلو كنا رهنًا بما يحيط بنا، لكان غير مضمون، كحال الشمعة المشتعلة في ليلة عاصفة. ففي لحظة من اللحظات، تشتعل الشمعة بانتظام، فيما قد ينتقل اللهب ويتحول، في اللحظة التالية، إلى طرف الفتيل، فلا يعود يعطي إلاّ نورًا شاحبًا، أو يخبو النور تمامًا. لكن الفرح المسيحي لا علاقة له بظروف الحياة الزائلة، ولا هو بالتالي فريسة اليوم الزائل. أحيانًا، تظهر أحوالي شبيهة بيوم من أيام شهر يونيو (حزيران) المشمسة، لكي تغدو، في ما بعد، أشبه بيوم من أيام نوفمبر (تشرين الثاني) المظلمة. فأنا، يومًا أكون في عُرس، ويومًا آخر أقف على مقربة من قبر مفتوح. وفي خدمتي، تراني يومًا أربح عشرة نفوس للربّ؛ لكنّ، ولفترة طويلة لا أربح أي نفس. أجل، تتغيّر الأيام وتتبدّل كتبدّل حال الجو، ومع هذا، من الممكن أن يستمر الفرح المسيحي ويدوم. لكن، أين يكمن سر هذا الثبات المجيد؟

هذا هو السر: «**وها أنا معكم كل الأيام**». ففي تغيّر الأيام، «هو لا يتغيّر ولا يتعب». إنّه ليس صديقي فقط خلال الأيام الجميلة المناخ، لكي يتخلى عنه في الأزمنة الحالكة والباردة من السنة. وهو لا يختار أيامي الجميلة والمزدهرة، لكي يختفي في أيام فقري وهزيمتي. إنّه لا يظهر فقط عندما ألبس إكليلاً من الزهر، لكي يتوارى عن الأنظار عندما أحمل إكليلاً من الشوك. إنّه معي «كل الأيام»، في أيام الخير والنجاح وفي أيام الضيق والفشل؛ عندما يقرع جرس المأتم وعندما يُرن جرس العرس. «كل الأيام»: يوم الحياة، ويوم الموت، ويوم الدينونة.

٤: ٥ والآن يحثّهم بولس على جعل **حلمهم معروفًا عن جميع الناس**. وهذه اللّفظة "حلم" وردت أيضًا بمعنى الخضوع، وصواب التفكير، والاستعداد للتنازل عن طريقنا الشخصي. والصعوبة لا تكمن في إدراك المقصود، بل في إطاعة هذه التوصيّة مع «**جميع الناس**».

الربّ قريب، قد تعني أنّ الرب هو قريب الآن، أو كون مجيء الربّ بات وشيكًا. وكلا الاحتمالين صحيح، مع أنّنا نفضّل الاحتمال الأخير.

٤: ٦ هل يمكن المسيحي فعلاً **ألاّ يهتم بشيء**؟ نعم، هذا ممكن ما دام لدينا مورد الصلاة بإيمان. ثم يشرح لنا القسم الباقي من هذه الآية كيف باستطاعة حياتنا أن تخلو من خطة القلق والاضطراب. نحتاج أن نأتي بكل شيء إلى الرب **بالصلاة**. **وكل شيء** يعني **كل شيء**. هذا لأن لا شيء هو عظيم أكثر من اللازم أو حقير أكثر من اللازم في نظر اهتمام الرب المحبّ بنا.

الصلاة هي فعل ومناخ في آن. فنحن نأتي إلى الرب في أوقات محددة، ونعرض له طلبات محددة. لكن، من الممكن أيضًا أن نعيش في منـاخ الصلاة، ويغلب على حياتنـا طابع الصلاة. ولعلّ الكلمة «الصلاة» تشـير في هذا العدد إلى مجمل موقف حياتنا، فيما **الدعاء** يعني الطلبات المحدّدة التي نسألها من الربّ.

لكن نحتاج، من ثمّ أن نلاحظ أنّ **طلباتنا التي نُعلِم الله بهـا**، يجب أن تكـون مقرونة **بالشـكر**. وقد أوجز أحدهم مضمون هذه الآية على النحو التالي: "لا نحتاج أن نهتمّ بأي شيء، بل نصلي لأجل كلّ شيء، ونشكر على كلّ شيء".

٤: ٧ إن كانت حياتنا تتميّز بهذه المواقف، فعندئذ **سلام الله الذي يفوق كلّ عقل سيحفظ قلوبنا وأفكارنا في المسيح يسـوع**. إنّ **سـلام الله** هو إحسـاس مقـدّس بالطمأنينة والرضى يغمر نفس المؤمن عندما يكون متّكلاً بالكليّة على الله.

> في اتّكالها على الربّ، تُغمَر القلوب بالبركة،
> إذ تحظى، كما وعد، بالسلام والراحة الكاملين.
> *فرنسيس هافرجال Frances Ridley Havergal*

إنّ هذا **السـلام يفوق كل عقل**. وليس بوسـع أهل العـالم أن يفهموه على الإطلاق. حتى إنّ المسـيحيّين الذين ينعمون بهذا السـلام، يجدون أنّه سـرّ مدهش. إنّهـم يسـتغربون كيـف أنّهـم غـير قلقـين في وجه ما يعترضهم من مآسٍ أو ظروف معاكسة.

إنّ هذا **السلام** يحرس القلب والحياة الفكرية. يا له من منشـط نحن بأمس حاجـة إليه في هـذه الأيام التي كثرت فيها الأمراض النفسـية، والانهيارات العصبيّة، واللجوء إلى المسكّنات!

٤: ٨ والآن، يعطي الرسـول مشـورة ختاميـة تتعلّق بالحيـاة الفكريّـة. فالكتاب المقدّس يعلّـم، على كل صفحة من صفحاته، أنّ باستطاعتنا أن نضبط أفكارنا. وهكذا، لا نفع من تبني موقف انهزامي على اعتبار أنّ لا حول لنا ولا قوّة متـى امتلأت أذهاننا بالأفكار غير المرغوب فيهـا. لكن، في الواقع، لدينا قوّة وسـلطان على أفكارنا. والسرّ يكمن في التفكير الإيجابي، الذي يرتكـز على مبدإ بات مشـهورًا الآن: قدرة المشـاعر الجديدة على طرد الأفكار غير المسـتحبّة. فالإنسـان لا يستطيع أن يراعي أفكارًا شريرة، وأفكارًا عن الربّ يسـوع في آن. لذا، في حال تبـادرت إلى ذهنه فكرة شريرة، عليه أن يتخلّص منها فورًا، إذ يتأمل في شخص المسـيح وفي عمله. وحاليًّا، يتّفق أشهر علماء النفس والأطباء النفسـانيّين مع الرسـول بولـس حول هذه المسألة. إنّهم يشدّدون على مخاطر التفكير السلبي.

لا تحتـاج أن تُنعـم النظر لكي تجد الرب يسـوع المسـيح في العدد الثامن، إذ إنّ كل ما هو **حقّ**، **وجليل**، **وعـادل**، **وطاهر**، **ومسـرّ**، **وصيته حسـن**، **وكل فضيلة**، **وكل مدح**، هي متوافرة فيه. لنسـتعرض الآن هذه الفضائل واحـدة تلـو الأخـرى. فما هو **حـقّ** يعني غـير مزوّر وجديـرًا بالثقة، بل هو صادق وحقيقي. وما هو **جليل** يعـني مكرّمًـا أو جاذبًا أدبيًّا. **وعادل** يعـني بارًا أمام الله وأمام الإنسـان في آن. كما إن ما هو **طاهر** يشـير إلى الحياة التي تتّصف بسموّ الخُلق الأدبي. **والمُسِرّ** يتضمّن فكـرة ما هو جميل للنظر وللتأمّل فيه. وما **صيته حسـن** يعـني ما هـو مقبـول ومُستحسَـن لدى الـرأي العام

السليم. أمّا **الفضيلة** فتتكلّم بالطّبع عن السموّ الأدبي والخلقي، كما إنّ **المدح** يتناول ما يستحق الثناء.

كان الرسول قد أكد للقدّيسين، في العدد السابع، إنّ الله سيحرس قلوبهم وأفكارهم في المسيح يسوع. لكنّه لا يُهمل أن يذكرهم بأنّه تترتّب عليهم هم أيضًا مسئولية من هذا القبيل. فالله لا يحرس الحياة الفكرية لإنسان لا يريد لها أن تبقى طاهرة.

٤: ٩ ومن جديد، يعرض الرسول بولس نفسه كقدّيس مثالي. فهو يحثّ المؤمنين على ممارسة الأشياء التي **تعلّموها** منه والتي **رأوها** في حياته.

والجدير ذكره أنّ هذه التوصيّة تلي العدد الثامن مباشرة. فالحياة السليمة والصحيحة هي نتاج التفكير السليم والصحيح. وإذا كانت حياة الإنسان الفكرية طاهرة، تكون كذلك حياته كلها طاهرة. ومن جهة أخرى، إذا كان ذهن الإنسان بمثابة نبع من الفساد، فباستطاعتك أن تتيقّن عندئذ أنّ النهر الذي يجري منه سيكون قذرًا هو أيضًا. كذلك يلزمنا التذكّر باستمرار في حال راعى أحدهم فكرة شريرة على مدى فترة طويلة من الزمن، فسيمارسها فعليًّا في نهاية المطاف.

إن الأمناء في اتّباعهم لمثال الرسول، جاء الوعد لهم **بأنّ إله السلام سيكون معهم**. ففي العدد السابع، نجد أنّ سلام الله هو من نصيب الأشخاص المصلين؛ أمّا هنا، **فإله السلام** هو رفيق من يعيش في القداسة. والفكرة هنا هي أنّ الله سيجعل نفسه قريبًا جدًّا من الذين يجسّدون الحقّ في حياتهم العمليّة، وعزيزًا جدًّا لديهم، إذ يختبرون حضوره الدائم الفعّال.

٩- تشكّرات بولس على التقدمات الماليّة التي وصلته من القدّيسين (٤: ١٠-٢٠)

٤: ١٠ في الأعداد ١٠-١٩، يتحدّث بولس عن علاقته بالكنيسة التي في فيلبي، وعن المساعدة الماليّة التي حصل عليها منهم. لا يستطيع أحد إدراك ما لهذه الأعداد من معانٍ مباركة وعميقة لدى قدّيسي الله الذي دُعوا إلى مكابدة ضغوط مالية واقتصاديّة.

بولس يفرح لأنّ الفيلبيين قد أرسلوا إليه الآن، وبعد فترة من الزمن، مساعدة عمليّة لدعمه في عمله لأجل الرب. إنّه لا يلومهم أو يعاتبهم لأنّه لم يحصل منهم سابقًا على أيّة مساعدة، لكنّه يشيد بهم بالحري بسبب رغبتهم في إرسال هبات إليه، غير أنّه **لم تكن لهم فرصة**. وقد أورد موفات *Moffat* هذه الفكرة في ترجمته على النحو التالي: "لم يكن قط يعوزكم الاهتمام، بل الفرصة لإظهار هذا الاهتمام".

٤: ١١ ما أجمل أن نرى كيف استخدم بولس الكياسة والرهافة في معرض معالجته لموضوع المال. فهو لا يريد لهم أن يظنوا أنه يتذمر من أي عوز مادي لديه. لكنه، يبغي أن ينقل إليهم أنه مستقل إلى حد كبير عن الظروف الدنيوية المحيطة به. **فهو تعلم أن يكون مكتفيًا**، وذلك بمعزل عن حالته الاقتصادية. والاكتفاء هو حقًّا أعظم من الغنى، إذ إنه "وإن لم يُنتج الاكتفاء غنى، فهو يحقق الهدف عينه، إذ يُبطل السعي وراء الغنى".

> "إنّه لسر مبارك متى تعلم المؤمن أن يحمل رأسًا عاليًا مع معدة خاوية، ونظرة عمودية منتصبة مع جيب فارغ، وقلبًا فرحًا سعيدًا مع راتب غير مدفوع، والابتهاج بالله عندما يكون الناس بلا أمانة" (هذرة مختارة).

٤: ١٢ عرف بولس أن **يتّضع**، أي أن يُحرَم ضروريات الحياة؛ كما عرف أيضًا أن يستفضل، أي أن يُعطى في وقت من الأوقات أكثر من حاجته الآنيّة. **ففي كل شيء، وفي جميع الأشياء، قد تدرّب أن يشبع وأن يجوع**، وأن يستفضل وأن ينقص. كيف تعلّم الرسول هذا الدرس؟ لقد اعتمد ببساطة الطريقة التالية: كان واثقًا بأنّه ضمن إطار إرادة الله. كان يعلم أنّه حينما حل، أو في أية ظروف وجد نفسه، فهو هناك بسماح من الله. إذا جاع، إنّ ذلك قد يحصل لأنّ الله يريد له أن يجوع، أو إذا شبع، فلأنّ ربّه قد رتّب هذا الأمر. كان منكبًّا بكل اجتهاد وأمانة على خدمة الملك السماوي، ولسان حاله: «نعم أيها الآب لأنّ هكذا صارت المسرة أمامك».

٤: ١٣ ثم يضيف الرسول العبارة التي باتت أحجية لكثيرين: «**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني**». هل كان يعني ذلك حرفيًا؟ وهل كان الرسول يؤمن فعلاً بأنّه لم يكن هناك أي شيء يعجز عن القيام به؟ الجواب هو التالي: إنّ الرسول بقوله إنّه **يستطيع كل شيء**، كان يعني بذلك كل شيء ضمن إرادة الله له. لقد تعلّم إنّ الربّ الذي يوصي هو نفسه الذي يخولنا القيام بما يوصينا به. كذلك عرف أنّ الله لن يدعوه يومًا إلى تتميم أيّة مهمّة قبل منحه ما يلزم من نعمة. وهذه العبارة «**كلّ شيء**» لا تشير على الأرجح، إلى أعمال عظيمة لا تخلو من المغامرة، على قدر ما تشير إلى ضروب عظيمة من مكابدة الحرمان والجوع.

٤: ١٤ كان الرسول، على الرغم من كل ما قاله، يريد للفيلبيين أن يعرفوا أنّهم **فعلوا حسنًا**، إذ **اشتركوا في ضيقته**. ومن المرجح أنّه يعني في هذه الآية ما أرسلوه إليه من مال لسد احتياجاته خلال فترة أسره في السجن.

٤: ١٥ في الماضي، كان الفيلبيون قد امتازوا بنعمة العطاء. ففي الأيام الأولى من خدمة بولس، عندما **خرج من مكدونية**، **لم تشاركه كنيسة واحدةٌ** في مالها ما عدا الفيلبيين.

أنّه لأمر مدهش ومثير للعجب تدوين هذه التفاصيل غير الهامة، حسب الظاهر، في كلمة الله الثمينة. وهذا يعلمنا ما يُعطى لخدام الرب، إنّما يُعطى للرب نفسه. وهو يهتمّ بكل قرش ننفقه لأجله. كما إنّه يسجّل كلّ ما يُعمَل كأنّه له، ويكافئ عليه بكيل جيد، ملبّد، مهزوز، فائض.

٤: ١٦ وعندما كان في **تسالونيكي**، **أرسلوا إليه مرّة ومرتين** لحاجاته. لقد كان الفيلبيون، على ما يبدو، يعيشون قريبين جدًّا من الربّ، الأمر الذي أتاح لهم أن يُرشدهم الرب في ما يتعلق بالعطاء. وهكذا جعل الروح القدس في قلوبهم أن يساعدوا الرسول بولس. فتجاوبوا مع ذلك بإرسالهم مالاً إليه **مرّة ومرتين**. وإذ نتذكّر أنّ بولس لم يمكث في تسالونيكي إلاّ زمنًا يسيرًا، يزيد هذا من روعة اهتمام الفيلبيين به هناك.

٤: ١٧ نلمس في هذا العدد نكران بولس الكامل لنفسه. لقد ابتهج بربحهم أكثر من ابتهاجه بعطيتهم له. كان اشتياقه إلى رؤية الثمر المتكاثر لحساب المؤمنين، أعظم من رغبته في الحصول على مساعدة مالية. وهذا بالتمام ما يحصل عندما نعطي الرب مالاً. فكل شيء يسجّل في دفاتر الحساب، ويُرد مئة ضعف في يوم آتٍ.

كل ما لدينا هو ملك للرب، وعندما نعطيه، فنحن لا نعطيه إلاّ ما هو له. والمسيحيّون الذين يحاجون حول وجوب تعشير أموالهم أو عدمه، قد أخطأوا الهدف. فالعُشر كان المبلغ الأدنى الذي كان العبرانيون في عهد

الناموس قد أمروا بدفعه؛ أمّا في عصر النعمة هذا، فالسؤال ينبغي ألاّ يكون: "كم عليّ أن أُعطي للربّ؟" بل بالحري: "كم أتجاسر وأُبقي لنفسي؟". لذا يُحتّم على المؤمن أن يرغب في أن يقتصد في عيشه ويضحّي حتّى يتمكّن من إعطاء جزء متزايد أكثر فأكثر من دخله لعمل الرب فلا يهلك الناس بسبب عدم سماعهم إنجيل المسيح.

٤: ١٨ عندما يقول بولس إنّه قد **استوفى كلّ شيء**، فهو يعني بذلك كلّ ما **يحتاج** إليه، وقد **استفضل**. قد يبدو غريبًا في أيامنا هذه التي تسود فيها الروح التجارية، أن نسمع أنّ خادمًا للربّ لا يستعطي، بل يُقرّ، على نقيض ذلك، أنّه يملك ما فيه الكفاية. إنّ ما نشهده في أيّامنا الحاضرة من حملات استعطاء على نطاق واسع، هي مكرهة في نظر الله، وعار مجلوب على اسم المسيح. إنّها غير ضرورية على الإطلاق. قال هدسون تايلور *Hudson Taylor* مرة: "إنّ عمل الله المتمّم على طريقة الله، لن تعوزه أبدًا موارد الله". والمشكلة اليوم هي أنّنا أخفقنا في التمييز بين العمل لأجل الله وعمل الله. هذا لأنّه من الممكن الانخراط في ما يُسمّى خدمة مسيحيّة، إلاّ أنّها ربّما لا تكون ضمن إرادة الله على الإطلاق. وحيث تتوافر كثرة من المال، يبرز دائمًا الخطر الأعظم للتورّط في مغامرات قد تُعوزها موافقة الله. ونذكر في هذا المجال اقتباسًا آخر لهدسون تايلور: "ما يجب أن نخشاه جدًا، ليس الأموال غير الكافية، بل الوفرة من الأموال غير المكرّسة".

إنّ عطية المحبّة التي جلبها أبفرودتس معه من الفيلبيين إلى بولس، وصفها الرسول بأنّها **نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله**، إنّ هذه الكلمات لم ترد إلاّ في حالة وحيدة أخرى، وذلك بالإشارة إلى المسيح نفسه (أف٥: ٢). وبولس يعظّم هنا عطاء الفيلبيين المضحي، عندما يصف ما يعنيه هذا العطاء في نظر الله. لقد صعد أمامه كذبيحة ذات رائحة طيبة، وهذه الذبيحة كانت **مقبولة ومرضية** في آن.

وفي هذا الصدد كتب جويت *Jowett* متعجّبًا:

> ما أوسع المدى الذي يبلغ إليه لطفُ صنع في مكان ناءٍ حسب الظاهر. ففي ظننا أننا كنّا نخدم فقيرًا، في حين كنا في الواقع نتعامل مع الملك السماوي. كذلك تخيّلنا أنّ نسيم الرائحة الطيبة سيبقى محصورًا ضمن محيط قريب حقير، لكن ها هو الأريج الذكي يفوح في الكون بأسره. وظننّا أنّنا كنّا نتعامل مع بولس وحده، لكنّنا اكتشفنا، ويا للدّهشة، أنّنا كنّا نخدم مخلّص بولس وربّه.

٤: ١٩ والآن يضيف بولس في هذا الفصل آية مشهورة ومحبوبة. نحتاج أن نلاحظ كيف أنّ هذا الوعد يلي وصف أمانتهم في حقل الوكالة المسيحيّة. وبكلمة أخرى، بما أنّهم أعطوا من مواردهم الماديّة لله، لدرجة تعريض معيشتهم للخطر، **فإنّ الله سيملأ كل احتياجاتهم**. وما أسهل أن نأخذ هذا العدد خارج نطاق قرينته، لنستخدمه كوسادة طرية ومريحة لمسيحيّين يبذّرون أموالهم على ذواتهم، ونادرًا ما يفكّرون في عمل الله: "حسنًا، لا تقلق، فالله سيملأ كل احتياجاتك".

ومع أنّه يصحّ القول، بشكل عام، إنّ الله يسدّ حقًّا حاجات شعبه، فنحن هنا أمام وعد محدّد بأن الأمناء والمكرسين في عطائهم للمسيح، لن يعوزهم شيء.

غالبًا ما ورد التعليق بأنّ الله يسدّ احتياجات شعبه، لا من غناه هو، بل **بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع**.

فلو أعطى رجل مليونير قرشًا لولد، فإنّه يكون بذلك قد أعطى من غناه هو. لكن في حال أعطى مئة ألف دولار لأجل قضية هامة، فإنّه بذلك يُعطي بحسب غناه أو على مستواه. إنّ عطاء الله لنا هو **بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع**، وليس ما هو أغنى من هذا!

يسمّي وليمز *Williams* العدد التاسع عشر حوالة مصرفية مسحوبة على مصرف الإيمان:

إلهي: اسم صاحب المصرف.
يملأ: الوعد بالدفع.
كل احتياجكم: قيمة الحوالة.
بحسب غناه: رأسمال المصرف.
في المجد: عنوان المصرف.
في المسيح يسوع: التوقيع الذي يذيل الحوالة، والذي من دونه يبطل مفعولها.

٤: ٢٠ يفيض قلب الرسول بالتسبيح لدى تفكيره في وفرة المخزون الإلهي. وهذه العبارات تناسب كل ولد من أولاد الله يختبر يوميًّا عناية الله الطيبة به، لا بسدّه احتياجاته الماديّة فحسب، بل أيضًا بتزويده بالإرشاد، والعون في وجه التجربة، وبإعادة إحياء الحياة التعبديّة التي فترت فيه.

١٠ـ التحيّات الختاميّة (٤: ٢١-٢٣)

٤: ٢١ بولس، في معرض تفكيره في المؤمنين المجتمعين للإصغاء إلى الرسالة التي كان يكتبها إليهم، يبعث بتحيّاته إلى كل **قدّيس في المسيح يسوع**، كما يرسل أيضًا **تحيات الإخوة الذين معه**.

٤: ٢٢ نجد أنفسنا مُرغمين على محبّة هذا العدد بسبب إشارته إلى **بيت قيصر**. وقد تسبر مخيّلاتنا الخصبة هنا عمقًا واسعًا. فمن هم أعضاء بيت قيصر المذكورين هنا؟ هل كانوا بعضًا من الجنود الذي كانوا قد كُلّفوا حراسة الرسول بولس، وقد اختبروا الخلاص بواسطة خدمته؟ أم كانوا من فئة العبيد أو من فئة الأحرار العاملين في البلاط؟ وهل يمكن أن تشتمل هذه العبارة على بعض الرسميين في الحكومة الرومانية؟ لا نستطيع أن نعرف الجواب تمام المعرفة، لكنّنا هنا أمام إيضاح جميل لحقيقة أنّ المسيحيّين المؤمنين، وعلى غرار العنكبوت، يشقّون طريقهم حتى إلى قصور الملوك (أم٣٠: ٢٨)! فالإنجيل لا يعرف أيّة حدود. وباستطاعته اختراق أكثر الأسوار منعًا لدخوله. كذلك يستطيع أن يمدّ جذوره في وسط أولئك الذين يسعون إلى تدميره. حقًّا، إنّ أبواب الجحيم لن تقوى على كنيسة يسوع المسيح.

٤: ٢٣ والآن يختم بولس بتحيّته المميزة. **فالنعمة** شعّت على الصفحة الأولى من هذه الرسالة، وها هي الآن من جديد في نهايتها. ومن فضلة القلب يتكلّم فم الإنسان. فقلب بولس كان مملوءًا إلى الفيض من أعظم موضوع في كل العصور: **نعمة الله بواسطة المسيح**. ولا عجب، إذًا على الإطلاق أن تعمّ هذه الحقيقة المباركة والثمينة من كل جانب من جوانب حياته. نقتبس من بول ريس *Paul Rees* الخاتمة لتفسيرنا هذا:

> إنسان عظيم كتب أحر رسائله؛ فأنهى عمل المحبّة. لقد غابت شمس ذلك اليوم، والسلاسل بقيت على معصم الرسول، والجندي بقيّ على حراسته. لكن، لا بأس، لأنّ روح بولس تنعم بالحرية، وذهنه يحظى بالصفاء، وقلبه يتأجّج بالفرح.
>
> وفي صباح اليوم التالي، ينطلق أبفرودتس في طريقه رجوعًا إلى فيلبي.